المستشار الدكتور: محمد مجدى مرجان

الله

واحد أم ثالوث



مكتبة النافذة

الله

واحد أم ثالوث

المستشار الدكتور

محمد مجدى مرجان

رئيس محكمة الجنايات والإستئناف العليا

كان مسيحيا فأسلم

الناشر

مكتبة النافذة

الله واحد أم ثالوث

تأليف: محمد مجدى مرجان

الطبعة الأولى ١٩٧٢

الطبعة الثانية ٢٠٠٤

الناشر: مكتبة النافذة

المدير المسئول: سعيد عثمان

الجيزة ٢شارع الشهيد أحمد حمدى - الثلاثينى - فيصل

تليفون وفاكس: ٧٢٤١٨٠٢

محاولة لبحث علمى

هذا الكتاب محاولة لبحث علمى بعيد عن العاطفة أو التحيز، فان كان قد حوى نقدا فهو موجه إلى الترهات التى حاول البعض الصاقها بالأديان السماوية، أما الأديان ذاتها وخاصة المسيحية عقيدة عائلتى وأحبابى، والإسلام عقيدتى ونبراسى.

فلها إجلالى وتقديسى، هدانا الله جميعا إلى الحق..

محمد مجدى مرجان

مقدمة

الإنسان روح وجسد، ينشدان البقاء والنماء، والبقاء والنماء يحتاجان للغذاء، وغذاء الجسد الطعام، وغذاء الروح الإيمان.

بالطعام يقوى الجسد ويستقيم الأود، وبالإيمان تهدأ الروح وتشعر بالأمان، وبدون الطعام يضعف الجسد، ويسرى إليه الهزال والانحلال، وتنهش فيه الأمراض والأوبئة، ثم يسقط حطامًا، وبدون الإيمان تذبل الروح، وتعصف بها الشكوك والحيرة، وتفتك بها الاضطرابات والمخاوف ثم تنهار يأسًا.

من أجل هذا لا نجد على وجه البسيطة إنسانًا يحيا بلا إيمان، إيمان بقوة عليا يدين لها بالولاء، ويرجو منها الخير، ويستعيذ بها من البلاء.

ولكن الخلاف بين الناس يثور حول طبيعة هذه القوة العليا وفحواها. وحول كنهها ومبنهاها، أهي الله .. أم الطبيعة.. أم الدهر.. أم غير ذلك من الأسماء التي يختلف فيها العامة والعلماء، والملاحدة وأتباع الأنبياء.

وبحثنا هذا يقتصر على محاولة استطلاع راي اصحاب الأديان السماوية في حقيقة هذه القوة العليا التي يسمونها الله .. الله الذي تملأ البراهين على وجوده وعظمته الكون بأكمله، بما فيه من مخلوقات عظيمة وكائنات عديدة وخيرات عميمة، وأسرار عميقة، وظواهر رائعة، ونظام محكم.

سموات مرفوعة، وأراض مبسوطة، وجبال عالية، وبحار واسعة، وشمس ساطعة، وقمر وضاء، وكواكب طالعة، ونجوم لامعة، كل يجري على نظام وثيق ويسير في حساب دقيق لا ينحرف قيد شعرة، ولا يرتبك بعض لحظة، يقول

سبحانه : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَارَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّر لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ (سورة إبراهيم ٣٢ - ٣٤).

وتقول التوراة: «السموات تحدث بمجد الله والفلك يخبر بعمل يديه» (مزمور ٩ : ١).

ثم بشر متساوقون، بآلاف الملايين، لا يختلفون ولا يتكررون، كل يغاير الآخر، وكل يتميز عن سواه، في شكله ولونه: وفي بحته وصوته، وفي بصمته وخطه، وفي هيئته ونفسه: فمهما تغيرت الأزمان، ومهما تعدد بنو الإنسان، فلا اختلاط ولا تكرار، بل كل حباه الله بميزة ليست في سواه وكل منحه شيئًا اختصه به عمن عداه.

وفي داخل جسم الإنسان والنبات والحيوان، أعضاء وحواس، وخلايا وذرات، ملايين وألوف ومئات ترى ولا ترى ولكنها تعمل في صمت، لكل وظيفتها، تتآلف وتفترق وتتساند وتتباعد في تناسق ونظام.

والضمير صوت الله في الإنسان، يستريح لفعل الخير ويتلوى من عمل الشر، يرشد إلى الحق، وينهى عن الضلال.

كل هذه الآيات وغيرها كثير، تشهد بعظمة الصانع القدير، الله سبحانه اللطيف الخبير، يقول القرآن الكريم : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ ﴾ (سورة الروم).

ولكن هذا الإله صانع الوجود، وأعز موجود، والحي الذي لا يموت، الذي له الخلق

والأمر، ويبدد ملكوت كل شيء.. من هو ..؟ ما هي طبيعته وماهيته ..؟ ما هي صورته وشبهه ..؟ ما هي ذاته وعناصرد وصفاته ..؟ هل هو إله واحد أم عدة ألهة .. ؟

وإذا كـان اللــه واحدًا فمـا هو نوع وحدانيته...؟ هل هي واحدانية بسيطة أم وحـدانيـة مـركبـة؟ وإذا كـانت وحـدانيـة الله مـركبـة ... فـمم تتـركب تلك الوحدانية؟

وإذا كان الله أكبر من واحد، فما هو عدد هؤلاء الآلهة؟

وما هو عمل كل إله منها، وما هي اختصاصاته ووظائفه وصفاته؟!

هل ينـفـرد كل إلـه منهم بعـمل مـعين، أم أنهم يشتـركـون في كـافـة الأعمـال الإلهية ؟!

ثم ما هي مـرتبـة كل إله منهم في درجات السلم الإلهي ؟ هل يتساوون في مرتبة الألوهية؟ أم يعلو أحدهم على الآخر؟ وما هي درجة العلو والهبوط لكل إله على الآخر ولمن تكون وعلى من؟!

أسئلة كـثيـرة تحـار فـيـهـا العـقـول، وتـخـتـلف فـيـهـا الـنـقـول .. ولـقـد تـابعت طويلاً كلمـات النـقـول، وناقـشت كـثـيـرًا ذوي العـقـول، بل لـقـد اتاحـت لـي ظروف نشـأتي في عائلة تؤمن بإله ثالوثي، وتقيم له الابتهالات، وتشيد المعابد، ثم إلحـاقي تلميذًا في مدرسة الثالوث، شماسًا في إحدى الكاتدرائيات حيث يتم إعدادي وتوجيهي فـاصبح داعيًا لله الثالوث، منافحًا لنشر طقوسه وتعاليمه.

أتاح لي ذلك وغـيـره الاطلاع على كـثـيـر من العلوم الدينيـة، والأسـرار اللاهوتيـة. ولقد بذلت جهدًا كبيرًا في محـاولة إقناع عقلي وفكري بظروف ولادتي ونشـأتي التي تحـتم الإيمان بالله الثـالوث بحكم الوراثة والتـقليـد والانـسـيـاق والعـادة. ولكني فشلت في هـذا فـذهبت أبحث العقـائد الأخرى: في حياد وتجـرد عن كل ظروف البيئة والمولد، تصورت أني ولدت اليوم ولم أعتنق

بعد دينًا، ثم عرضت علي كافة الأديان والعقائد، لأبحث فيها عن الحقيقة التي يرتاح إليها عقلي وضميري والتي تسكن فيها روحي وجسدي.

إن الإيمان الحق يحتم على الإنسان أن يواجه عقائده ويبحثها ثم يبحث أيضًا غيرها، دون ميل أو هوى، وبلا ضيق أو تعصب وإنما في هدوء وتعقل وفي رزانة وروية، ولا شك أنه سيصل بعد ذلك إلى الحقيقة، سيصل إليها في يسر وسهولة، دون جهد أو عناء، فالحقيقة واضحة وضوح الشمس، ساطعة سطوع النور، تفتح ذراعيها لطالبيها ومحبيها، وتنادي مبصريها وناظريها.

لا يكفي للإيمان الحقيقي وراثة العقيدة، وتقليد الآباء والأسلاف والعمات والجدات، فلم يكن الدين في يوم من الأيام إقرارًا لوضع قائم، ولا انسياقًا لطقس متبع، وإنما كان الدين دومًا دعوة إلى الحق، وثورة على الباطل، ولو كانت العقيدة إرثًا وانصياعًا لما انتقل الناس من باطل إلى حق، ومن عبادة الأصنام والأغنام إلى عبادة الخالق، ولبقي العالم إلى اليوم كما كان منذ آلاف السنين يسبح في الأباطيل والترهات.

يقول الفيلسوف برتراند رسل : «إن القضية الدينية يجب ألا تقبل إلا إذا كان لها سند كالسند المطلوب في القضية العلمية».

ولكن معظم الناس يرثون الدين دون وعي ولا إدراك، معظمنا لا يعرف من الدين سوى اسمه وما سطر في شهادة ميلاده سواء أكان يهوديًا أم بوذيًا أم مسيحيًا أم مسلمًا، أو غير هذا أو ذاك، ومع ذلك فإنه يتعصب لما سطر في شهادة ميلاده تعصب المستميت ويطعن في الأسماء المغايرة طعن المناوئ، دون بحث أو روية، ودون هدوء أو تعقل، ودون دراية بالعقيدة التي سموه بها، ودون علم بالدين المغاير.. ولكن هذا كله ليس دينًا ولا إيمانًا، بل ليس عقلاً ولا إدراكًا ..

فلنبحث عقائدنا، وأصول إيماننا، وغذاء أرواحنا لنصل إلى الحقيقة، الحقيقة التي تحجبها الأهواء والأغراض والميول والنزعات، فلننزع عنا هذه وتلك، ولنستقبل الحقيقة. فترتاح العقول وتسكن القلوب، وتهدأ النفوس، وتستقر الأروح.

إنها محاولة للبحث والدراسة. وعرض لمختلف الآراء والاتجاهات، على قدر الوقت والجهد. والله ندعو أن يوفقنا ويهدينا سواء السبيل.

محمد مجدي مرجان

الفصل الأول

اللـــه الثـــالوث

يرى فلاسفة المسيحية أن الله سبحانه وتعالى يتكون من ثلاثة أقانيم[1] أي ثلاثة عناصر أو أجزاء، وهذه الأقانيم أو العناصر الثلاثة هي الذات والنطق والحياة.

فالله موجود بذاته

ناطق بكلمته

حي بروحه

كل خاصية من هذه الخواص أو العناصر التي يتكون منها الله تعطيه وصفًا معينًا أو مظهرًا خاصًا.

فإذا تجلى الله بصفته ذاتًا سمي	**الأب**
وإذا نطق فهو	**الابن**
وإذا ظهر كحياة فهو	**الروح القدس**

ويرى فلاسفة المسيحية أن الإنسان خلق على صورة الله ومثاله، فكما أن الله مثلث الأقانيم كذلك فالإنسان مكون من ثلاثة عناصر.

(١) الأقانيم كلمة سريانية الأصل مفردها أقنوم وهي تعني شخص أو كائن مستقل بذاته.

فكما أن الله ذاتٌ كونية؛ كذلك فالإنسان بذاته كائن على صورة الله ومثاله.

وكما أن الله ناطق؛ كذلك فالإنسان ناطق على صورة الله ومثاله.

وكما أن الله حي؛ كذلك فالإنسان حي على صورة الله ومثاله.

يقول القمص إبراهيم إبراهيم في كتابه «التثليث والتوحيد»: «لا يصح مطلقًا نفي التثليث لأنه بانتفائه تنتفي أنت، إذ هو أنموذجك ومصدر صفاتك الذاتية الثلاثية الذات والنطق والحياة وآثارها غير مفقودة، فكيف يصح انتفاؤك وأنت موجود .. بنفي الأقانيم الثلاثة الإلهية ..»

ولكن .. لماذا أطلق على الله الموجود لفظ الآب

وعلى الله الناطق لفظ الابن

وعلى الله الحي لفظ الروح القدس.

يقول القس توفيق جيد في كتابه «سر الأزل»[1]: «إن تسمية الثالوث باسم الآب والابن والروح القدس تعتبر أعماقًا إلهية، وأسرارًا سماوية لا يجوز لنا أنت نتفلسف في تفكيكها وتحليلها، أو نلصق بها أفكارًا من عندياتنا ..».

ولكن يبدو أن القمص إبراهيم رأى غير ذلك فراح يفكك ويحلل سبب التسمية كاشفًا الأعماق الإلهية، ومزيلاً لغز الأسرار السماوية، وذلك عندما يقول:

«إن الذات والد للنطق فيقال له الآب.

والنطق مولود من الذات فيقال له الابن.

والحياة منبعثة من الذات فيقال لها الروح القدس.

فالله الآب قائم بذاته، ناطق بخاصية الابن الذي هو النطق، حي بخاصية

(١) سر الأزل ص ٥٩ .

الحياة التي هي الروح القدس.

والله الابن قائم بخاصية الذات الذي هو الآب، ناطق بخاصيته هو، حي بخاصية الحياة التي هي الروح القدس.

والله الروح القدس قائم بخاصية الذات الذي هو الآب، ناطق بخاصية النطق الذي هو الابن،حي بخاصيته هو التي هي الحياة.

هذا هو القولب الآب والابن والروح القدس الإله الواحد.

يقول الأستاذ يس منصور[1] : «إن الأقانيم ليست مجرد أسماء تطلق على الله أو مجرد صفات ينعت بها بل ثلاث شخصيات متميزة غير منفصلة متساوية فائقة عن التصور ...».

ويقول الأستاذ يس منصور: «إن الثالوث الأقدس هو دعامة إيمان المسيحيين وهو في شرعهم وعرفهم أشهر من نار على علم، وصلتهم به صلة الجسد بالروح وصلة العين بالنور ...».

أما القس توفيق جيد [2] فيقول: «إن عقيدة الثالوث أعظم العقائد المسيحية أهمية وأساسها كلها لأنها تتصل بذات الله حسبما أعلن لنا نفسه في كتابه، فمعرفتها هي معرفة الله والإيمان بها هو الإيمان بالله. ومن يجهلها يجهل مولاه. ومن ينكرها ينكر الله ...».

وتدعيمًا لسر الثالوث، وشرحًا لخباياه، يقرر لنا الأستاذ يس منصور في كتابه رسالة التثليث والتوحيد : «إن هذا الكون العظيم لا يدلنا على وجود الله وقدرته فقط، ولكنه يدلنا أيضًا على طبيعة لاهوته وما به من تعدد في الأقانيم. فإذا تأملنا في ماهية الله على ضوء الخليقة لوجدنا فيه النسبة

---

(١) رسالة التثليث والتوحيد ص ١٥٦ وما بعدها .

(٢) سر الأزل ص ٧ .

والقدرة والانفعال المتبادل والمماثلة، وهذه الأمور الأربعة تدعم عقيدة التثليث وتجعلها مطابقة للمنطق والعقل».

أما عن وجود النسبة في الله فيقول الكاتب «إن الاعتقاد بالله مثلث الأقانيم يدل على أن خلق العالم لم يكن بدء تعلقات للذات لأن الله ذو علاقات منذ الأزل قائمة بين أقانيمه المباركة، فكل أقنوم من الأقانيم الإلهية له علاقة وله نسب بجانب الآخر وله علاقة بغيره». ويعني الكاتب بذلك أن الله قبل خلق العالم وقبل أن يصبح بينه وبين الكون علاقة ما - علاقة الخالق بالمخلوقات - فقد كانت له علاقات بين أجزائه وأقانيمه الثلاثية، علاقات مختلفة ومتعددة، قد تكون علاقات صداقة أو حب أو تعاون أو نفور أو كراهية أو تنافس، كذلك فإنه توجد نسبة بين الأقانيم الإلهية فبعضها مثلاً أكبر من الآخر، وبعضها أعلى مقامًا من الآخر، وبعضها أقوى خطرًا من الآخر.

أما عن وجود القدرة والانفعال المتبادل في الله فيقول الأستاذ يس منصور: «إن قدرة الله ظاهرة وعاملة فيه بالمحبة المغتبطة القوية المتبادلة بين الأقانيم منذ الأزل، والتي تؤثر ويتأثر كل منها في علاقته بالآخر، وأن الخلق العارض صدر عن المحبة الفعالة بين الأقانيم، أي أن خلق العالم في نظر الكاتب كان نتيجة لوجود العلاقات الخاصة والحب المتبادل بين الأقانيم فالعالم والمخلوقات إنما هي ثمرة العلاقات بين الأقانيم الإلهية.

أما عن وجود المماثلة في الله فيقول الأستاذ يس : «إن الإنسان قد خلق على صورة الله فقد وضع الله صورته في البشر وأفاض عليهم ألوانًا ثابتة من صفاته، فظهور الخليقة العاقلة المشابهة والمماثلة لله ليس إلا صورة مصغرة له تعالى ظاهرة في مرآة الخليقة، والمماثلة ليست جديدة على الله بل هي موجودة فيه منذ الأزل، فالمسيح الابن هو صورة الله الآب، وتبادل المحبة بينهما

هو قوة الروح القدس».

وينتهي الكاتب أخيرًا إلى القول: «إنه لا يمكننا أن نفهم الله إلا عن طريق تصوره بالصورة البشرية».

هكذا ينظر دعاة الثالوث إلى الله العظيم الذي ليس كمثله شيء والمنزه عن مشابهة الكائنات فيمثلونه بأحد مخلوقاته الضعيفة وهو الإنسان. إن الله في نظر فلاسفة المسيحية له كيان قائم بذاته كالإنسان تمامًا. والله ناطق بكلمته كالإنسان كذلك، وهو حي بروحه كالإنسان أيضًا. ومن هذه الأقانيم أو العناصر الثلاثة يتكون الله كما يتكون الإنسان تمامًا. الذات والنطق والروح، ومع ذلك فإن الباحث المتأمل يلاحظ أن فلاسفة المسيحية قد أعطوا للإنسان صفات ضنوا بها على الله، فالإنسان به عناصر وأجزاء أخرى كثيرة لا تقل أهمية عن العناصر الثلاثة السابقة، هذا إذا لم تكن تفوقها أهمية، منها مثلاً أن الإنسان مبصر بعينيه سميع بأذنيه، رحيم بقلبه، مفكر بعقله، مشير بيده.. وهكذا نستطرد في ذكر العناصر والأجزاء التي يتكون منها الإنسان المخلوق فنجد أنه قد تفوق فيها على الله خالقه.

بل أكثر من ذلك أن هذه العناصر الثلاثة التي تفضل دعاة الثالوث بمنحها لله وهي الكيان والنطق والروح قد منحوها له بشروط وأوضاع خاصة. فهم قد قسموا الله إلى ثلاثة أقسام منحوا كل قسم صفة من الصفات منعوها عن القسم الآخر. في حين أن تلك العناصر والصفات تجتمع كلها في الإنسان الواحد ولا تجتمع في الله.

فبينما نجد الإنسان كائنًا بذاته دائمًا، وناطقًا بكلمته دائمًا. وحيًا بروحه دائمًا. نجد الله لا يكون كائنًا بذاته إلا حين يسمى الآب. فبصفته كائن بذاته فهو الله الآب. فإذا تخلت عنه صفة الأبوة وتحول فأصبح ابنًا تتخلى عنه صفة

الكينونة والذات ويصبح فقط ناطقًا بكلمته، كذلك إذا تحول الله إلى روح قدس تخلت عنه الصفتان السابقتان وصار فقط حيًا بروحه، هكذا يتحول الله ويتغير طبقًا للدور الذي يظهر به وتبعًا للاسم الذي يخلع عليه.

ويتغني الشاعر المسيحي بعناصر الله وأقانيمه قائلاً:

ذات لها في نفسها وصفان ... للروح وصف والكلمة للثاني

ولكن في العبارة وضع إذ هو ... ذات وأوصاف وفعل بيان

فإن قلت واحد حق وإن تقل ... اثنين حق إنه اثنان

أو قلت لا بل إنه لمثلث ... فصدقت ذات حقيقة الإنسان

فهو المسمى أبًا وابنًا وروحًا ... لله مصور الأكوان

ومن هذه الأبيات يتضح أن الله يكون أحيانًا واحدًا، وأحيانًا اثنين، وأحيانًا أخرى ثلاثة، والكل حق وصواب حسبما يتراءى للقائل.

وكما مثل البعض الله في عناصره وأقانيمه الثلاثية بالإنسان مثله آخرون بالتفاحة، فكما أن التفاحة لها ثلاث خواص هي الذات والطعم والرائحة، ويمكن التمييز بين هذه العناصر الثلاثة وإن كانت التفاحة واحدة، فالرائحة مثلاً غير الذات والطعم، والذات هي علة الطعم والرائحة، وكما أن التفاحة لا توجد بدون الطعم والرائحة كذلك لا يمكن تصور الآب بدون الابن والروح القدس، فبغير هذه الأقانيم لا يتأيد وجود الله، والإنسان عندما يأكل التفاحة فإنه يأكل الذات، وبحاسة الذوق يميز الطعم، وبحاسة الشم يميز الرائحة.

وقد نسي هؤلاء المشبهون أن التفاحة لها أيضًا لون يميزه الإنسان بحاسة الإبصار، أو لها ملمس ونعومة يميزها الإنسان بحاسة اللمس أو لها حجم وشكل معين .. فهل نضيف أقانيم أخرى لله قياسًا على عناصر وخواص التفاحة!!

كذلك فقد شبه آخرون الله الثالوث بالشمس، فالشمس أيضًا كالله تمامًا تتكون من ثلاثة عناصر أو أجزاء هي جرم الشمس، وشعاع الشمس وحرارة الشمس، فالشعاع منبعث من الجرم، والحرارة منبعثة من الشعاع، والجرم والكل شمس واحدة.

كذلك مثل بعض آخر الله بالشجرة، فالشجرة لها أصل وساق وثمر، والشجرة واحدة.

ومثله آخرون بينبوع الماء أو فتيل الشمعة ..!!

وكثرت التشبيهات والفلسفات في شرح الله الثالوث ..!!

* * *

يقول القس بولس إلياس مبررًا عقيدة الثالوث في كتابه يسوع المسيح: «من الناس من يقولون: لم يا ترى إله واحد في ثلاثة أقانيم..؟ أو ليس في تعدد الأقانيم انتقاص لقدرة الله ..؟ أو ليس من الأفضل أن يقال الله واحد وحسب...؟» ويرد على نفسه قائلاً: «لكننا إذا اطلعنا على كنه الله لا يسعنا إلا القول بالثليث، وكنه الله محبة ولا يمكن إلا أن يكون محبة ليكون سعيدًا. فالمحبة هي مصدر سعادة الله، والمحبة تفترض شخصين على الأقل يتحابان وتفترض مع ذلك وحدة تامة بينهما، بحيث يندفع المحب إلى هبة الذات لمن يحب هبة تكون فيها سعادتهما. فلكي يكون الله سعيدًا كان عليه أن يهب ذاته شخصًا آخر يجد فيه سعادته ومنتهى رغباته ويكون بالتالي صورة ناطقة له. ولهذا ولد الله الابن منذ الأزل نتيجة لحبه إياه، ووهبه ذاته ووجد فيه سعادته ومنتهى رغباته، وثمرة المحبة المتبادلة بين الآب والابن كانت الروح القدس».

والقس بولس في محاولته تبرير عقيدة الثالوث يأتي برأي عجيب، إنه يقرر

أنه نظرًا لاحتياج الله إلى شخص آخر من جنسه الإلهي يبثه حبه ويجد فيه سعادته، فقد ولد الله الآب ابنًا وهبه ذاته ووجد فيه سعادته ومنتهى رغباته، ولم يقل القس كيف ولد الآب الابن هل ولده من ذاته، أم ولده من زوج له؟ وما هي الرغبات التي وجدها الآب في الابن، ثم هذه الثمرة التي تولدت من العلاقة بين أقنومي الآب والابن وهي الروح القدس، من هو والدها ومن هي والدتها؟

وبنفس الرأي تقريبًا يدلي القس توفيق جيد[1] فيقول «إن الوحدانية دون الثالوث تجعل الله في الأزل بدون موضوع للمحبة، فالواحد من كل وجه لا يقدر أن يحب غير نفسه، وبعبارة أخرى بدون الثالوث أو بالأحرى بدون التمييز الأقنومي لا يبقى لله في أزليته سوى ذاته ليحبها، وتنزيهًا لله عن محبة الذات فقد وجد الثالوث حتى تتجه محبة الأقنوم الإلهي نحو الأقنوم الآخر».

ويستخلص القس بولس إلياس من واقع رأيه، ورأي القس توفيق جيد نظريته القائلة «ليس الله إذن كائنًا تائهًا في الفضاء، منعزلاً في السماء لكنه أسرة مؤلفة من أقانيم ثلاثة تسودها المحبة وتفيض منها على الكون براءته، وهكذا يمكننا أن نقول: إن كنه الله يفرض فيه التثليث.. إن العائلة المسيحية في نظر المسيحي صورة مصغرة للعائلة الإلهية المثلثة الأقانيم، فيهب المسيحي ذاته شريكة حياته هبة تامة وتبادله هي هذه المحبة التي تأتي ثمرتها الولد الذي يكون صورة لكليهما، ورابطًا يوطد بينهما أواصر الألفة والوفاق ...».

ومفاد نظرية القس بولس إلياس التي يجاريه فيها قليلاً القس توفيق جيد أن الله عبارة عن عائلة تتكون من ثلاثة أعضاء أو ثلاثة كائنات، وكل كائن منها

---

(١) سر الأزل ص ١٧ .

غير الآخر، وكل عضو فيها مستقل عن الآخر، ولكن بين أعضاء هذه الأسرة الإلهية علاقات وأواصر متينة، ظاهرة وخفية، عاطفية وحسية أيضًا، وقد نتج عن العلاقة بين أقنومي الآب والابن ثمرة هي أقنوم الروح القدس!!

ومن يدري فقد تعقب هذه الثمرة ثمرات أخرى يتزايد بها عدد أفراد الأسرة الإلهية وتتم بها سعادتها، فقد يشتاق الأب إلى ابنة أيضًا يبثها محبته وحنانه وتكون أختًا حانية للابن، بل قد يتجاوز حب الآب للابنة حبه للابن، ويمكن أيضًا مع الزمن تصور إضافة أعضاء جدد للأسرة الإلهية يتم بها نموها ويكثر عددها ويساعد بعضها بعضًا، فمع الزمن يصبح الأب جدًا، ويصبح الابن أبًا، وتصبح الابنة أمًا، وينجبون ثمرات وأحفادًا تشيع بهم البهجة والهناء، ويقتصر الحب الإلهي عليهم، فلا حب إلا لأبناء الله، ولا حنان إلا لأفراد الجنس الإلهي، أما البشر عبيد الله فلا حب ولا حنان لهم، وإنما حب الله وحنانه مقصوران على أفراد جنسه الإلهي وعلى أعضاء عائلته السماوية.

هذا هو تصور دعاة الثالوث لله ذي الجلال، التصور الذي يجعل الله الغني محتاج إلى شخص آخر يبثه عواطفه، وينشيء معه علاقات تنزل بالله إلى مستوى مخلوقاته، علاقات نربأ بأنفسنا عن ذكرها، ويعف فكرنا عن تصورها... ويلد الله ابنًا يحتكر محبته وحنانه ويحجبها عن بقية خلقه وأبنائه، ثم ينتج عن هذه العلاقة العاطفية الحسية بين الآب والابن ثمرة هي الروح القدس، يكتمل بها أفراد الثالوث الإلهي.

بهذا يزداد عدد الآلهة، الآلهة التي تصنعها عقول الواهمين.. إنني مضطر إلى عدم الاسترسال في هذه النقطة خوفًا من التردي في مهاوي الكفر والضلالة.

ويبدوا أن هذا التبرير لفكرة الله الثالوث لم يرق للفيلسوفين بوهمي وسانتيلا، فأتيا بتبرير آخر لعقيدة التعدد والثالوث في الذات الإلهية.

يقول الفيلسوف بوهمي : «لابد أن يكون الله منطويًا على كثرة، إذ كيف يمكن تفسير الكثرة الموجودة في العالم بالوحدة المطلقة».

ويشرح الفيلسوف سانتيلا هذا الرأي بقوله: «كيف يتصور صدور الكثرة باختلاف أنواعها من الأحدية البسيطة المتعالية عن كل كثرة.. إن الأمر لا يخلو من أحد حالين: إما أن يقال إن الكثرة كانت موجودة في ذات الأول المحض، وإما أن يقال إن الكثرة لم يكن لها أثر ولا رسم في ذات الله، وكيف يتصور حينئذ أن يكون علة للكثرة؟».

وهذا الذي يقوله الفيلسوفان بوهي وسانتيلا، ويصوغانه في أسلوب التعقل والمنطق، أمر غريب حقًا، ومنطق عجيب حقًا ..

إن هذين الفيلسوفين يتصوران أن كل شيء خلقه الله في هذا الكون لابد أنه كان موجودًا في داخل الله منذ الأزل، أو تكون بذرة أو صورة هذه المخلوقات على الأقل موجودة في ذات الله، وإلا كيف أمكنه أن يخلق هذه الأشياء من العدم؟

وطبقًا للمنطق العجيب الذي يتحدث به هذان الفيلسوفان، فإنه لابد أنه كان موجودًا في داخل الله قبل أن يقوم بخلق الكون كافة أصول موجودات هذا الكون، من سموات وكواكب ونجوم، وأرض وبحار وبشر، وحيوانات وحشرات وفلاسفة أمثالهم.. ولولا وجود بذور هذه المخلوقات في داخل الله لما أمكنه خلقها من العدم؟!

وسيرًا وراء هذا المنطق فإن الرسام مثلاً لابد أنه كان موجودًا في داخله منذ ولادته كافة الرسوم واللوحات التي ابتكرها في حياته، ومعنى وجود

الرسوم واللوحات في داخل الرسام طبقًا لهذا المنطق ليس وجود فكرتها فقط، وإنما وجودها كلها بكل ما تحويه من مواد خام وأخشاب وزيوت وحديد وأدوات رسم، وما على الرسام إلا أن يقوم باستخراجها من داخل جسده، ويقوم بتجميعها فتخرج منها اللوحات المطلوبة، وإلا كيف أمكنه خلق تلك الرسوم من العدم ..؟

كذلك النحات فإن كافة التماثيل التي صنعها في حياته لابد أنها كانت موجودة في داخله بجميع موادها الأولية منذ ولادته وإلا كيف أمكنه خلقها من العدم؟ والأمر كذلك بالنسبة لصناع الطائرات والبواخر والقطارات، وكافة الآلات والصناعات والاختراعات.

بهذا المنطق العجيب يتحدث أصحاب الثالوث، وبهذا المنطق يريدون أن يقنعونا بالثالوث والتعدد، ويريدون أن يقسرونا على اعتناقه وتقبله، ولكنهم في الحقيقة يزيدون اللغز تعقيدًا، ويزيدون الأحجية غموضًا.

ولكن مم يا ترى يتكون الله في نظر دعاة الثالوث؟ هل هو إله واحد مقسم إلى ثلاثة آلهة، أم هو ثلاثة آلهة مستقلة؟ أم هو إله واحد من جهة، وثلاثة آلهة من جهة أخرى؟

يجيب على هذا التساؤل الأستاذ عوض سمعان[1] فيقول: «الله واحد وثالوث. فهو واحد من جهة وثالوث من جهة أخرى، فكما أن الإنسان واحد في مظهره وفي الوقت نفسه هو جوهري مكون من ثلاثة عناصر هي الجسد والنفس والروح، كذلك الله فهو واحد من جهة وجامع أو شامل من جهة أخرى دون أي تعارض أو تناقض في ذاته، فالله واحد من جهة الجوهر أو الباطن وهو جامع أو شامل من جهة أخرى دون أي تعارض أو تناقض في ذاته، فالله

(١) الله بين الفلسفة والمسيحية ص ٩٧ وما بعدها .

واحدمن جهة الجوهر أو الباطن وهو جامع من جهة التعين أو الظاهرية، وجوهر الله يسمى «اللاهوت» أي الله في جوهره، وهذا الجوهر نفسه بالنظر إلى تعيينه وظهوره هو «الله» .. فالله هو اللاهوت معينًا واللاهوت هو الله جوهرًا، أي أن الله هو اللاهوت ظاهرًا، واللاهوت هو الله مستترًا، والله واللاهوت واحد، لأن جوهر الله هو عين تعينه وتعينه هو عين جوهره».

ويستطرد الأستاذ عوض سمعان قائلاً: «إن الله ليس تعينًا واحدًا بل تعينات فذات الله تعينات، وكل تعين من هذه التعينات ليس جزءًا من ذات الله بل هو عين ذاته، أي هو ذات الله نفسها بكل خصائصها وصفاتها الذاتية، ولذلك يكون كل تعين من هذه التعينات هو الله وهذه التعينات تسمى الأقانيم، فالأقانيم هي تعينات اللاهوت أو هم اللاهوت معينًا، أي اللاهوت معلنًا في ذاته وصفاته».

والأستاذ عوض سمعان يقرر لنا هنا أن الله رغم إعلانه لنا أنه واحد، إلا أنه في حقيقته وباطنه مكون من ثلاثة أجزاء، وكل جزء أو تعين من هذه الأجزاء والتعينات هو إله كامل، فكاتبنا يقرر أنه بعد فحصه وتشريحه لدواخل الذات الإلهية، وبعد كشفه الحجب والأستار عن مكنونات الله، تبين له أنه ليس واحدًا بل ثلاثة. فالله رغم ظهوره للناس على أنه واحد، إلا أنه في حقيقته وداخليته ثلاثة آلهة، فهو واحد من جهة، وثلاثة من جهة أخرى، واحد في الظاهر وثلاثة في الباطن.

ومنطق كاتبنا هذا يجعلنا نعتقد أن الله يظهر لنا غير ما يبطن، فهو يظهر للبشر بمظهر لا يعبر عن حقيقته وداخله، تلك الحقيقة التي تقرر أنه سبحانه مكون من ثلاثة آلهة، تلك الحقيقة التي استطاع كاتبنا الكبير أن يصل إليها وحده والتي لم يتوصل إليها قبله أحد من العالمين، إلا من ساروا على دربه واتبعوا نهجه من المتفلسفين والمتفقهين.

المهم أن هذا الإيمان الثالوثي قد أصبح الأساس الأول لمسيحية اليوم، فكل من لا يؤمن بهذا الثالوث - الآب والابن والروح القدس - كافر مستحق للعنة في الدنيا والآخرة، مستوجب لنار الجحيم الأبدية، محروم من دخول فردوس النعيم.

يقول القس توفيق جيد[1]: «إن الدخول إلى المسيحية لا يتم إلا بالإيمان بسر الأزل سر الثالوث الأقدس، إن كلمة السر التي بها يقبل أي كائن في ملكوت السموات هي سر الأزل سر الثالوث الأقدس، هذا الاسم اسم الآب والابن والروح القدس ينبغي أن يوضع على كل من يلج باب الملكوت، هذه هي السمة التي ينبغي أن يحملها على جبينه كل داخل إلى ملكوت السموات، سمة الثالوث الأقدس».

وتدعيمًا لعقيدة الثالوث، وإبرازًا لمبادئها، قام كبار أساقفة المسيحية بعقد مجامع دينية فيما بينهم، سميت بالمجامع المقدسة أولها مجمع نيقيه سنة ٣٢٥م، أتموا فيها وضع أسس المسيحية الجديدة، وأهمها قانون الإيمان المسيحي، الإيمان الثالوثي، الذي يردده الأخوة المسيحيون داخل الكنائس خلف القسوس قائلين:

«نؤمن بإله واحد الله الآب ضابط الكل، خالق السماء والأرض، ما يرى وما لا يرى، نؤمن برب واحد يسوع المسيح، ابن الله الوحيد، المولود من الآب قبل كل الدهور، نور من نور، إله حق من إله حق، مولود غير مخلوق، مساو الآب في الجوهر. كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان، هذا الذي من أجلنا نحن البشر، ومن أجل خلاصنا نزل من السماء، وتجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء، وتأنس وصلب عنا على عهد بيلاطس البنطي، وتألم وقبر وقام

(١) سر الأزل ص ٥١ .

من بين الأموات في اليوم الثالث، وصعد إلى السماء وجلس عن يمين أبيه، وأيضًا يأتي في مجده ليدين الأحياء والأموات، الذي ليس لملكه انقضاء، نعم نؤمن بالروح القدس، الرب المحيي المنبثق من الآب، نسجد له ونمجده مع الآب والابن الناطق في الأنبياء، وبكنيسة واحدة مقدسة جامعة رسولية، ونعترف بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا، وننتظر قيامة الأموات وحياة الدهر الآتي، آمين..».

هذا القانون المسيحي الذي صاغه أحبار الكنيسة يحوي غالبية العقائد التي تسير عليها مسيحية اليوم، والتي نرجو أن يتاح لنا مجال مناقشتها في مناسبات أخرى، ولكن يعنينا منها هنا ما يتعلق فيها بالثالوث الإلهي، الثالوث الذي صنعته أيدي المجامع الكهنوتية وقدمته للبشر لعبادته، الثالوث الذي يتكون من الله الواحد (الآب)، والرب الواحد (الابن) المساو للآب في كل شيء، فهو إله حق كما أن أباه إله حق أي أنهما إلهان، ثم الرب المحيي (الروح القدس) وهو إله ثالث، فكلهم آلهة لهم العبادة والسجود والتمجيد، وهؤلاء الثلاثة هم واحد.!!



الفصل الثاني

وظائف الثالوث

بعد أن قام أصحاب الثالوث بتقسيم الله إلى ثلاثة أقسام، وبعد أن قاموا بجعل الله الواحد ثلاثة آلهة، قاموا بتوزيع الأعمال والوظائف الإلهية بين هذه الآلهة الثلاثة، فأعطوا لكل إله منها مجموعة من الأعمال والوظائف، ومنحوه بعض الخصائص والميزات التي يختص بها وحده ولا يشاركه فيها الإلهان الآخران، فلكل إله عمل واختصاص محدد ولكل أقنوم صفات وخصائص مقصورة عليه، لا يشاركه فيها ولا يتمتع بها مع الأقنومين الآخرين.

فمثلاً الله الآب جعلوه مصدر العدل

والله الابن جعلوه مصدر الرحمة.

والله الروح القدس جعلوه مصدر النعمة.

فمن يريد العدل فليتجه إلى الآب، ومن يرجو الرحمة فليتوسل إلى الابن، ومن يطلب النعمة فليبتهل إلى الروح القدس.

والله الآب ينسب إليه الخلق والتبني والدعوة، أما الله الابن فينسب إليه فداء البشرية وغفران الخطايا والذنوب، أما الله الروح القدس فينسب إليه منح الميلاد الثاني والحياة الطاهرة للبشر وتقديس النفوس.. ومعنى ذلك أن الله الآب لا يستطيع غفران الذنوب، وأن الله الابن ليس من اختصاصه تقديس

النفوس، وأن الله الروح القدس لا يملك الخلق!!

يقول القس توفيق جيد[1]: «إن عملية خلاص الإنسان التي هي قضية التاريخ الكبرى من بدء الزمان، هذه العملية تفترض حاكمًا وقاضيًا، وتتطلب مخلصًا وفاديًا، وتستلزم مقدسًا ومحييًا. إنها تفترض حاكمًا وقاضيًا أصدر حكمه بموت الإنسان الخاطئ وهلاكه، ومن يكون ذلك الحاكم القاضي سوى الأقنوم الأول في اللاهوت، الله الآب، وتتطلب مخلصًا وفاديًا يرفع الحكم عن الإنسان الشقي، ومن يكون ذلك المخلص الفادي سوى كائن إلهي مثله، ذلك الكائن هو الأقنوم الثاني في اللاهوت الله الابن. ثم إن عملية الخلاص تستلزم مقدسًا ومحييًا، محييًا يخلق من الإنسان الخاطئ إنسانًا جديدًا في البر وقداسة الحق، ومقدسًا يعيد للإنسان الفاسد صورة القداسة المفقودة، ومن يكون ذلك المقدس المحيي سوى كائن إلهي قادر على كل شيء هو الأقنوم الثالث في اللاهوت أي الروح القدس ...».

هكذا يتم توزيع الوظائف والأدوار على الأقانيم الإلهية، أحدها وهو الآب حاكم وقاض يحكم بالشقاء ويقضي بالهلاك، ثم يقوم الثاني (الابن) بإلغاء هذا الحكم والقضاء، فيخلص الشقي ويفدي الهالك، ويقوم الثالث (الروح القدس) بتقديس الأشقياء وإحياء الهالكين.

في مقارنة بين وظائف الآب والابن يقول القمص إبراهيم إبراهيم في كتابه رسالة التثليث والتوحيد: «الآب لم يتجسد ولكن الابن تجسد، والآب لم يصلب ولكن الابن صلب، والآب لم يقم بدور الوسيط ولكن الابن قام بدور الوسيط..».

هكذا نرى الابن يقوم بالدور الرئيس فهو يتجسد ويفدي ويشفع، أما الآب

---

(١) سر الأزل ص ٢٠ .

فهو لا يتجسد ولا يفدي ولا يشفع.

وتأسيسًا على هذا التقسيم لوظائف الألوهية وصفاتها بين هذا الثالوث الإلهي، ليتم التعاون بين الآلهة، ويساعد كل إله زميله في العمل، فلا يمس أحدهم تعب أو لغوب، قام فلاسفة المسيحية بتقسيم الصلاة الربانية وهي التي يفتتح بها الأخوة المسيحيون صلاتهم اليومية، قسموها إلى دعوات ثلاثية يبتهل بها المسيحي إلى الثالوث الإلهي، ويختص كل أقنوم منها بابتهال معين لا يقدمه إلى الأقنومين الآخرين، وذلك كالآتي:

ابانا الذي في السموات ليتقدس اسمك (توسل إلى الآب مصدر العدل).

ليأت ملكوتك (توسل إلى الابن مصدر الرحمة).

لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض (توسل إلى الروح القدس مصدر النعمة).

خبزنا الذي للغد أعطنا اليوم (توسل إلى الآب).

.... وهكذا .... إلخ

ولا تدخلنا في تجربة نجنا من الشرير (توسل إلى الابن).

كذلك يقوم الآباء والكهنة في الكنائس بتوزيع بركاتهم على الشعب المسيحي باسم هذا الثالوث المقدس قائلين: «نعمة ربنا يسوع المسيح ومحبة الله الآب وشركة الروح القدس تكون مع جميعكم».

ويشرح الأستاذ يس منصور[1] معنى هذه البركة الثلاثية بقوله: «إن الله الآب يظهر محبته للشعب المسيحي ويحرسهم، وربنا يسوع المسيح يظهر نعمته ويرحمهم، والروح القدس يظهر شركته ويمنحهم سلامًا».

---

(١) رسالة التثليث والتوحيد ص ٢٧ .

هكذا لا يرفع الإنسان وجهه لله إلا وهو ينظر إليه بعقل موزع بين هذه الأقانيم الثلاثة، وقلب مشتت بين تلك الآلهة الثلاثة، ولا يفتح فمه أو يحرك لسانه داعيًا ومصليًا إلا وهو يناجي كل أقنوم مناجاة خاصة، ويختص كل إله بدعاء وصلاة مقصورة عليه، ويطلب من كل رب حاجة يرجوها عنده، ولا يجدها عند غيره من الأرباب.

هكذا ننظر إلى الله من خلال هذه الأقانيم التي يتكون منها ومن خلال تلك الوجوه الثلاثة التي يلبسها، وجه آب ووجه ابن ووجه روح قدس، ننظر إليه من خلال ذلك فلا نجده ذلك الإله الذي يملأ الوجود والذي ينصاع له كل معبود، بل نجده موزعًا ومقسمًا إلى ثلاثة آلهة ينسب إلى كل إله منها بمفرده العجز والنقص والاحتياج، فكل إله منها له اختصاص، وكل رب استولى على سلطان، وكل أقنوم ذهب مذهبًا!!.

يقول بعض القساوسة: «طبيعة الله عبارة عن ثلاثة أقانيم متساوية، وهذه الأقانيم الثلاثة تتقاسم جميع الأعمال الإلهية على السواء».

ويقول الأستاذ سمعان[١] : «إن الأقانيم مع تميز أحدها عن الآخر في الأقنومية، هم واحد في الجوهر بكل صفاته وخصائصه ومميزاته.

ولكن كيف يقال إن الأقانيم الثلاثة هم واحد في الجوهر، وأنهم يتقاسمون جميع الأعمال الإلهية على السواء، بينما يختص بعضهم بصفات ووظائف لا يختص بها بقية الأقانيم. ويعجز البعض منهم عن فعل ما يفعله البعض الآخر وما يختص به، ومع ذلك يقال إنهم واحد في كل الصفات والخصائص والمميزات، أليس في هذا القول تناقض، كيف يتميزون ولا يتميزون.. ؟

---

(١) الله بين الفلسفة والمسيحية ص ١٠٢ .

وإذا ذهبنا نطالع الكتب المسيحية فإننا نجد فيها أقوالاً منسوبة إلى الأقانيم الثلاثة يخاطب كل منها الآخر ويتحدث عنه أو إليه.

فيخاطب الآب الابن بقوله: «قال الرب لربي اجلس عن يميني» (مزمور ١١٠ : ١).

ويتكلم الابن عن الآب فيقول: «أنا أعرفه لأني منه وهو أرسلني» (يو ٧ / ٢٩).

ثم يتخاطب الابن والآب سويًا قائلين «أيها الآب مجد اسمك فجاء صوت من السماء مجدت وأمجد أيضًا» (يو ١٢ / ٢٨).

ويتكلم الابن عن الروح القدس فيقول «ذاك يمجدني لأنه يأخذ مما لي ويخبركم ..» (يو ١٦ / ١٤).

كذلك نجد أن الأقنوم الواحد يرسل الآخر، أو يخرج احد الأقانيم من الأقنوم الآخر وينفصل عنه فالآب مثلاً يرسل الابن. «الله أرسل الابن» (يو ٤ / ١٤).

ويقول الابن «خرجت من عند الآب» (يو ١٦ / ٢٨).

والآب والروح القدس أرسلا الابن، والابن أرسل الروح القدس وهكذا ..

هذا التخاطب بين الأقانيم، وخروج أحدها من الآخر. وإرسال أحدها للآخر. يعني انفصال بين الأقانيم. انفصال يمنع الوحدة بينهما، بل يمنع أيضًا المساواة بينها. ففي موضوع الإرسال مثلاً لا شك أن المرسل أعلى درجة من المرسل أو الرسول فحين يرسل الآب الابن مثلاً، فلا شك أن الآب أعلى من الابن. فهو كإرسال السيد خادمه، أو كإرسال الرئيس مرءوسه، يقول السيد المسيح «الحق الحق أقول لكم أنه ليس عبد أعظم من سيده، ولا

رسول أعظم من مرسله» (يو ١٣ / ١٦). كذلك فإن المرء ليتساءل، كيف أمكن خروج الابن الذي هو في اعتقاد فلاسفة المسيحية السيد المسيح عليه السلام كيف أمكن خروجه وتجسده وانفصاله عن اللاهوت، ودخوله برحم السيدة العذراء مريم وامتزاجه بلحمها ودمها. ثم خروجه من بطنها إنسانًا له كل الصفات الإنسانية ومع ذلك يمثل جانبًا في الله، جانبًا يمثل في نظرهم أهم جوانب الله !!

* * *

لماذا ثلاثة . . . ؟

وإذا تساءل المرء لماذا يا ترى قصر دعاة الثالوث عناصر الله وأقانيمه على ثلاثة فقط. لماذا لم تكن أربعة أقانيم أو خمسة أقانيم مثلاً؟ أو أكثر من ذلك أو أقل . . ؟

يجيب على هذا التساؤل الأستاذ عوض سمعان[1] فيقول: «إن العدد ثلاثة هو أول عدد فردي كامل بحيث لا يمكن لأقل منه أن تتوافر فيه خصائص الوحدانية الجامعة المانعة». ويستطرد قائلاً: «إن الإنسان مكون من ثلاثة أجزاء رئيسة والحيوانات الراقية مكونة من ثلاثة أجزاء رئيسة، والنباتات الراقية مكونة من ثلاثة أجزاء رئيسة، وكذلك الله فهو مكون من ثلاثة أقانيم.

وفي التدليل على أهمية العدد ثلاثة يقول الكاتب إن الأمثال العامية تقول: «الحبل المثلوث لا ينقطع»، «المرة الثالثة ثابتة»، من أجل هذا يكون الله أيضًا مكونًا من ثلاثة أجزاء».

---

(١) الله بين الفلسفة والمسيحية.

ولا ندري كيف استباح الكاتب لنفسه أن يمثل الخالق العظيم بمخلوقاته الضعيفة، بل كيف وصل به الإسفاف في التشبيه الذي وصل إلى حد الهذيان بتمثيل الله سبحانه وتعالى بالحيوانات والنباتات والحبال المثلثة.

ولا ندري أيضًا على أي أساس حسابي أو عقلي بنى عليه الكاتب قوله إن العدد ثلاثة هو العدد الذي تتوافر فيه خصائص الوحدانية فكيف يكون الثلاثة واحدًا؟. وكيف يكون الواحد ثلاثة؟

وإذا حاولنا استعراض العناصر أو الصفات الثلاثة التي خلعها دعاة الثالوث على الله وجعلوا منها أجزاء يتكون منها الواحد ذو الجلال ألا وهي الذات والنطق والحياة، لوجدنا أن هؤلاء الدعاة قد أخطأهم التوفيق كثيرًا حين اقتصروا في وصف الله على هذه العناصر الثلاثة فقط، بل لقد أخطأهم التوفيق أيضًا في اختيار تلك العناصر بالذات هيكلاً لتكوين الله.

إن فلاسفة المسيحية يقررون أن الله آب وابن وروح قدس.

فبصفته ذاتًا هو الله الآب.

وبصفته ناطقًا هو الله الابن.

وبصفته حيًا هو الله الروح القدس.

وإذا حاولنا أن نقارن مثلاً عنصر النطق الذي يكون الله الابن بعنصر العقل والتفكير، لاتضح بجلاء أن العقل والتفكير أهم بكثيرمن النطق، فإعمال العقل والفكر يسبق النطق، أما النطق دون عقل أو تفكير فهو تخريف وهذيان، كذلك فالنطق ليس إلا مجرد وسيلة ضمن وسائل متعددة للتعبير عن الفكر والإرادة بعد إعمال العقل والتفكير، ولا شك أنه يمكن التعبير عن الفكر والإرادة بأدوات أخرى كثيرة قد تفوق النطق، منها مثلاً الكتابة أو الإشارة أو إصدار قرار أو اتخاذ موقف معين بالفعل دون

نطق أو قول، بل إنه من المعروف أن الكلمة المكتوبة أعظم تأثيرًا وأطول عمرًا من الكلمة المنطوقة أو المسموعة، وعلى العموم فإنه إذا أمكن تصور الله دون نطق أو قول، فإنه لا يمكن تصور الله مدبر الكون بدون عنصر العقل! فهل يمكن إضافة أقنوم رابع لله هو أقنوم العقل والحكمة والتفكير الذي لا يستغني عنه الله وليمثلها مثلاً الله الجد.

كذلك الأمر بالنسبة للقلب هل يمكن تصور الله دون قلب.؟ قلب كبير يسع المخلوقات برحمته ويضم الكائنات في حنانه! إنه لولا هذا القلب المحب العطوف لحاق بنا جميعًا هلاك أبدي وعذاب مقيم، ولكن الله الرحيم ذو القلب الرؤوم يصفح عن أخطائنا ويتجاوز بحبه عن آثامنا ويضمنا في حنايا قلبه برفق وإعزاز. فهل نحتاج إلى أقنوم خامس يمثل قلب الله ورحمته ويسمى مثلاً الله الأم.

كذلك إذا تحدثنا عن قوة الله وقدرته وعظمته، تلك القوة غير المحدودة. والقدرة التي تفوق كل خيال، والعظمة التي تعلو كل تصور، هل يمكن تصور إله ضعيف ضئيل غير قادر؟ إن عنصر القوة والقدرة والعظمة قد يفوق في أهميته عنصر الحياة الذي يمثل الأقنوم الثالث في الله (الروح القدس). فكيف تكون الحياة لإله ضعيف ضئيل عاجز؟! فهل يمكن أن نضيف لعنصر القوة والقدرة والعظمية الإلهية أقنومًا سادسًا؟.

كذلك الأمر بالنسبة للإبصار والرؤية فلا شك أيضًا أنها أعظم من النطق مثلاً، فالله هو البصير السميع الخبير، الذي لا يغرب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء.

وهكذا كلما عددنا صفات الله تعالى التي لا تحصى، وقدراته التي لا تحد، لوجدنا أنفسنا محتاجين دائمًا إلى أقانيم وعناصر أخرى نضمها إلى

تلك العناصر الثلاثة التي خلعها دعاة الثالوث في شح على الله.

إن الله هو الحي القيوم القادر. الرؤوف الرحيم العزيز الحكيم، البصير الخبير الباسط الرازق، الخالق البارئ المصور، القدوس السلام، المؤمن المهيمن.. إلخ.

فهل يمكننا أن نجزئ الله سبحانه وتعالى إلى عشرات العناصر والأجزاء ونجعل كل جزء منها إلهًا قائمًا بذاته، له وظائفه وأعماله المستقلة التي يختص بها وحده ولا يشاركه فيها الآلهة الآخرون، وإذا كان الحبل المثلث أقوى من الحبل المفرد كما يقول الأستاذ عوض سمعان فلا شك أن الحبل المكون من عشرة حبال أو عشرين حبلاً مثلاً أقوى مرارًا من الحبل المثلث، فإذا كانت الكثرة والتعدد مستحبان حتى في الله، فهل يجرفنا الزيغ إلى إكثار الآلهة وزيادة عددها حتى يعز جانبها وتقوى شكيمتها ويشارك بعضها بعضًا في الأعباء والأعمال، أم أن هذا هو الشرك بعينه!!.



الفصل الثالث

أصحاب الثالوث

قد يتبادر إلى الذهن أن أصحاب الثالوث قد اتفقوا عليه، والتفوا حوله وآمنوا به في جملته وتفصيله وفي كنهه وتصويره، وفي عناصره وأقانيمه، ولكن الواقع أن أصحاب الثالوث قد اختلفوا وتفرقوا، وتعددت بهم السبل، وتفرقت بهم المسالك، وتشتت بينهم المذاهب، فذهب كل منهم في فهم الثالوث مذهبًا، واتجه كل منهم اتجاهًا، وخرج كل منهم برأي في ثالوث الله وأقانيمه.

وفي زحمة تلك الآراء والمذاهب كثيرًا ما تطفوا الحقيقة على السطح، حينًا في جرأة وأحيانًا في وجل، فيتشكك في الثالوث كثيرون، ويقترب من الوحدانية كثيرون، وفي هذه العجالة نعرض بعضًا من أبرز ما قيل عن الثالوث واتجاهات أصحابه وغير أصحابه فيه.

يقول القديس آريوس أسقف الأسكندرية في القرن الرابع الميلادي «الآب وحده الإله الأصلي الواجب الوجود، أما الابن والروح القدس فهما كائنان خلقهما الله في الأزل لكي يكونا وسيطين بينه وبين العالم، وهم متشابهان له في الجوهر ولكن ليس واحدًا منهما

ويبين من رأي آريوس أن الله هو خالق كل شيء بما في ذلك الابن والروح

القدس، وأن الآب وحده هو الإله الحقيقي، أما الابن والروح القدس فهما من مخلوقات الآب، وإن تفضل عليهما بقبس من صفاته وقدراته.

أما الأسقف مقدونيوس الذي كان بطريركًا للقسطنطينية فيقول: «إن الآب والابن فقط هما جوهر واحد، أما الروح القدس فهو مخلوق مصنوع ..».

وهذا البطريرك يرى أن الله مكون من أقنومين فقط وليس من ثلاثة اقانيم، وأن الألوهية مقصورة فقط على الآب والابن، أما الروح القدس فهو ليس إلهًا.

أما الأسقف أبو لينارس فيقول «إن الأقانيم الثلاثة الموجودة في الله متفاوتة القدر فالروح القدس عظيم، والابن أعظم، والآب هو الأعظم، أي أن الآب هو أعظم الثلاثة، ذلك أن الآب ليس محدود القوة ولا الجوهر، أما الابن فهو محدود القوة لا الجوهر، والروح القدس محدود القوة والجوهر».

والأسقف أبو لينارس هنا يقسم الأقانيم الإلهية إلى درجات ومراتب، يعلو بعضها فوق بعض، وينخفض بعضها عن بعض، ويترأس بعضها البعض، ففي المرتبة الأولى يقف الآب، ويتلوه الابن ثم الروح القدس.

ويبدو أن هذا الرأي له ما يؤيده مما ورد في الكتب المسيحية فقد أورد القديس يوحنا في إنجيله قول السيد المسيح «أبي أعظم مني» (يو ١٤ / ٢٩).

كما أورد القديس مرقص في إنجيله أيضًا حديث السيد المسيح عن يوم القيامة «وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد، ولا الملائكة الذين في السماء ولا الابن إلا الآب» (الر ١٢ / ٣٢) وهذا يعني أن الآب هو أعظم الأقانيم الإلهية.

ولكن يبدو أن اتجاه تعظيم الأقنوم الأول لا يوافق رأي باقي الأحبار والقديسين، فالقديس أثناسيوس يقرر «إن الأقانيم الثلاثة معًا هم الله الواحد

لأن جوهرهم وهو اللاهوت واحد، ليس في الثالوث أول أو آخر ولا أكبر ولا أصغر فالآب هو الله، والابن هو الله، والروح القدس هو الله، وكلهم هو الله ..» ويضيف أثناسيوس أنه لا يوجد أدنى تمييز بين الأقانيم الثلاثة لا في الذات لأن ذاتهم واحدة، ولا في زمن الوجود لأن كلاً منهم أزلي، وهم جميعًا متساوون في القوة والعظمة.

وينبني على قول القديس أن كل أقنوم من الأقانيم الثلاثة له نفس خصائص وسلطات الأقنومين الآخرين، وأنه يمكن أن يقوم بنفس العمل الذي يقوم به الإلهان الآخران، ولا شك أن هذا الرأي يخالف ما رأيناه آنفًا[1] من تقسيم وظائف الألوهية بين الأقانيم الثلاثة فيختص أحدها بما لا يختص به الآخر ويعمل أحدها ما لا يعمله الآخر، وإذا كان ما يراه أثناسيوس صحيحًا أفلا يحق للمرء أن يتساءل، إذا كان لكل أقنوم من الأقانيم الثلاثة نفس خصائص وسلطان الأقنومين الآخرين. إذن فما الداعي للتكرار..؟ ما معنى وجود ثلاثة أقانيم أو ثلاثة آلهة على صورة واحدة متكررة؟ متساويين ومتعادلين في جميع الصفات والوظائف والأعمال، متوازيين ومتماثلين في جميع الدرجات والكرامات والمراتب الإلهية؟ ألا يغني وجود أحدهم عن وجود الأقنومين الآخرين؟! إن الرأي الذي رأيناه آنفًا من وجود ثلاثة أقانيم أو ثلاثة آلهة مختلفة القدر والجوهر متغايرة الاختصاص والعمل قد يكون أقرب إلى المعقولية من هذا القول، إذ يكون حينئذ لكل إله عمل خاص به ولكل أقنوم فراغ يملؤه، هذا إذا كان لا مناص من القول بالتعدد.

ويبدو أن الفيلسوف «كانت» لا يؤمن كثيرًا بالثالوث، فهو يقرر أن الآب والابن والروح القدس ليست أقانيم مستقلة وإنما هي صفات أ«اسية في

---

(١) انظر ما سبق - وظائف الأقانيم.

اللاهوت هي القدرة والحكمة وثلاثة أو وظائف هي الخلق .

وهذا الذي يقول به كانت يخالفه فيه الأستاذ يس منصور واعظ بطريركية الأقباط الأرثوذكس بالأسكندرية الذي يقرر أنه بعد تأمله في ماهية الله رأى فيه أربع صفات أساسية لا ثلاث كما يقول كانت وهذه الصفات الأربعة الأساسية في الله هي النسبة والقدرة والانفعال المتبادل والمماثلة.

أما الفيلسوف بوهمي فإنه يميل إلى تعظيم الأقنوم الثاني في اللاهوت (الله الابن) ورفعه عن بقية الأقانيم، يقول بوهمي: «إن الله في ذاته آب وابن وروح قدس فالآب إرادة وقوة، والابن هو موضوع إرادة الآب وقوته، فالآب بدون الابن هو إراردة وقوة بدون موضوع، أو بتعبير آخر هو هاوية وموت ولا وجود، لذلك فالابن هو النور الذي ينير الوجود الإلهي، أما الروح القدس فهو الإشعاع المتصل بالابن أو بالأحرى المتصل بالنور».

هكذا جعل بوهمي من الأقنوم الثاني (الابن) أهم الأقانيم وأعظمها فهو النور الذي يضيء الوجود الإلهي، والآب بدونه لا وجود له، والروح القدس مجرد إشعاع يستمد ضوءه منه، فكلا الأقنومين الآخرين الآب والروح القدس يصبحان دون الابن عدمًا وفناء وموتًا، وتنتفي عنهما الحياة نفسها والوجود.

ويتمادى الفيلسوف سويدنبرج في تعظيم أقنوم الابن على حساب الأقنومين الآخرين فيقول: «إن الثالوث يطلق على المسيح وحده: فلاهوته هو الآب وناسوته هو الابن، ولاهوته الصادر عنه هو الروح القدس».

ويبدو أن اتجاه تعظيم الأقنوم الثاني (الابن) ورفعه عن الأقنومين الآخرين هو اتجاه معظم كتاب الأناجيل، فمن يطالع عنوان العهد الجديد الذي يحوي

الأناجيل الأربعة ورسائل الحواريين يجده مكتوبًا هكذا .. «العهد الجديد لربنا ومخلصنا يسوع المسيح» كأنه ليس في الأناجيل والرسالات شيئًا إلا عن السيد المسيح الله الابن، أما الآب والروح القدس فإنهما إذا ذكرا في العهد الجديد فمن قبيل السهو أو من قبيل التفضل كأنهما مجرد ضيفين على صاحب الإنجيل الله الابن.

يقول القس توفيق جيد[1] «إن الأقنوم الثاني (الابن) هو رب القدرة المعجزية، وهو مصدر البركات الروحية، وهو موضوع الصلاة التعبدية، وموضوع الآمال الأبدية».

ويقول الأستاذ يس منصور في كتابه رسالة التثليث والتوحيد «إن موضوع الكرازة والتبشير والتعميد والتعليم والوعظ للدين المسيحي هو المسيح، نقدمه للجميع في كل الكنائس والمدارس والبيوت، في كل جهة ولكل إنسان».

ثم يخبرنا الأستاذ يس منصور أنه قام بعمل إحصائية عن عدد المرات التي أطلق فيها لفظ رب على كل أقنوم من الأقانيم الثلاثة في الأناجيل ورسائل الرسل الحواريين فوجد أن الله الابن فقد دعي ربًا ٤٦٢ مرة، أما الله الآب فقد دعي ١٤٤ فقط، ودعي الله الروح القدس ربًا ٥ مرات.

ويؤيد الأستاذ يس كتاب الأناجيل في ميلهم نحو رفع الله الابن عن زميليه الآخرين، ويورد في كتابه نشيدًا وضع لمعارضي هذا الاتجاه ولمنكري ألوهية الأقنوم الثاني (السيد المسيح) يقول في نهايته:

يا قوم توبوا وارجعوا عن غيكم وخذوا المسيح لكم إلـهًا أعظمًا

هكذا يقرر أصحاب الثالوث في صراحة أن الله الابن هو أعظم الآلهة

(١) سر الأزل ص ٣٠ وما بعدها.

وأعظم الأقانيم، فهو الله الأعظم أما الله الآب فهو أقل منه درجة، وأما الله الروح القدس فهو أدنى منه أيضًا، وبدون الإله الابن أعظم الآلهة يصبح كلا الإلهين الآخرين فناء وموتًا وعدمًا.

هكذا قسم أصحاب الثالوث الله الواحد إلى ثلاثة أقسام يختص الله الابن بالقسم الأعظم منها، فهو أعظم من أبيه وأعظم من روحه وأعظم ممن قبله وأعظم ممن بعده. هكذا ينقسم الله الواحد إلى ثلاثة آلهة، ثم يختار البشر من بين الآلهة من يرفعونه ومن يخفضونه ومن يميزونه عن سواه من الآلهة،والآلهة بين ذلك واقفة حيارى في انتظار مصيرها على أيدي مخلوقاتها!!.

اللهم رحمتك ولطفك.!!

ولكن مما يجدر الإشارة إليه أنه قد ظهر فلاسفة وأساقفة آخرون عارضوا هذا الاتجاه ووقفوا في طريقه وتحملوا الإيذاء في سبيله.

هذا هو الأسقف بولس الشمشاطي بطريرك أنطاكية يقرر أن الله جوهر واحد وأقنوم واحد سمي بثلاثة أسماء وكان يقول: لا أدري ما الكلمة ولا الروح القدس.

أما الأسقف سابليوس فيشرح معنى تلك الأسماء الثلاثة بقوله: «إن الله أقنوم واحد، وإن الآب والابن والروح القدس ليست أسماء الأقانيم، بل إنها تعبر فقط عن أسماء ثلاثة مظاهر أو تجليات لأقنوم واحد ظهر في العهد القديم بصفة آب، وفي العهد الجديد بصفة ابن، وفي تأسيس الكنيسة بصفة روح قدس».

وقام سابليوس بتقسيم تاريخ البشرية إلى ثلاثة عصور تبعًا لهذه التجليات والمظاهر التي خلعها على الله وهي :

١ - العصر القديم:

الذي تجلى في الآب مصدر العدل فحكم على الجنس البشري بالهلاك الأبدي نظرًا لخطيئة آدم.

٢ - العصر المتوسط:

الذي تجلى فيه الابن مصدر الرحمة فارتضى أن يصلب للتكفير عن خطايا البشر.

٣ - العصر الحاضر:

الذي تجلى فيه الروح القدس مصدر النعمة التي انسكبت على القلوب المخلصة بغزارة.

ومن المؤسف أن سابليوس بعد أن بدأ رأيه بداية صائبة مقررًا أن الله أقنوم واحد وليس ثلاثة أقانيم لم يستطع أن يطرح عن كاهله موروث الثالوث مما اضطره للتوفيق بين الاعتبارين - اعتباري الوحدانية والتثليث - أن يقسم تاريخ الإنسانية إلى ثلاثة عصور مختلفة جعل لكل مظهر من مظاهر الله منفردًا بالسيطرة على العصر القديم، والابن له وحده السيطرة على العصر المتوسط، والروح القدس له السيطرة على العصر الحاضر.

وهذا الرأي وإن بدا فيه الكثير من الغرابة والشطط إلا أنه يعكس مدى الصراع الداخلي الذي اعتمل في نفس صاحبه بين التوحيد والتثليث، بين نداء العقل وموروث العقيدة، ولم يتمكن أي من العاملين أن يحرز انتصارًا حاسمًا على الآخر، فخرج رأي الرجل خليطًا بينهما، يظهر التوحيد، وإن لم يستطع التغلب على الثالوث الرهيب.

أما الفليسوف أموروي بين فقد تغلب في داخله صوت العقل على ظروف

البيئة، فأنكر ألوهية الأقانيم الثلاثة، وإن لم يستطع أن ينكر وجودها نهائيًا فقال: «إن الأقانيم الثلاثة ليست هي الله بل هي كائنات سامية خلقها الله أزلاً .. لتقوم بتنفيذ أغراضه».

وكما اختلف أحبار المسيحية وفلاسفتها حول الثالوث الإلهي في جملته، اختلفوا أيضًا حول كل أقنوم من أقانيم الثالوث على حدة.. فحدث نزاع بشأن الأقنوم الثاني «الابن» وطبيعته وهل هو من طبيعة واحدة إلهية..؟ أم من طبيعتين إحداهما إلهية والأخرى إنسانية؟ وهل له مشيئة وإرادة واحدة أم مشيئتان وإرادتان..؟ كما حدث نزاع آخر حول مركز الأقنوم الثاني في الثالوث ودرجته في المرتبة الإلهية، هل هو أعظم من الآب أو أقل منه أو مساو له في الدرجة؟وقد رأينا آنفًا جانبًا من هذا النزاع.

وحدث نزاع آخر حول زمن وتاريخ وجود الأقنوم الثاني هل هو أزلي أي موجود منذ الأزل؟ أم أنه حادث وجد بعد زمن معين ..؟ وهل هو مولود أو مخلوق..؟

كما حدثت نفس الخلافات بالنسبة للأقنوم الثالث (الروح القدس) فقرر البعض أنه منبثق من الآب فقط بينما قرر آخرون أنه منبثق من الآب والابن أيضًا، وفي حين رفع البعض الروح القدس فجعله خالق العالم وعلى كل شيء قدير، كما يقرر القديس بولس في رسالة أعمال الرسل إذ يقول «إن الروح هو الذي خلق العالم ويجدد النفوس، والمولود منها مولود من الله ويحيي أجسادنا الميتة وهو على كل شيء قدير»، ولقد أنكر آخرون ألوهية الروح القدس وقرروا أنه مجرد مخلوق مصنوع، بل لقد طرح البعض ثالوث الآب الابن والروح القدس ونادوا بثالوث آخر يتألف من إلهين ومألوهة، وهم الآب والأم والابن، والأم هي السيدة مريم العذراء والدة الإله الابن.

والغريب في أمر أصحاب الثالوث أنهم رغم اختلاف نزعاتهم وتعدد مشاربهم، فإن كل واحد منهم يصور الصواب في جانبه والخطأ في جانب كل من يخالفه، كل منهم يصور ما ينطق به أنه الحق وأن كل ما خلاه باطل، ثم ينصب كل واحد منهم نفسه على الآخرين قاضيًا وحسيبًا يصم مخالفيه بالكفر والضلال، ويتوعدهم بالعذاب والوبال مغريًا موافقيه بالملذات والجنات.

يتحدث القديس بولس في رسالته إلى أهل بلدة غلاطية محذرًا أتباعه من قبول أي تعاليم أو آراء مخالفة لتعاليمه وآرائه ولو أتى بهذه التعاليم أو الآراء المخالفة ملاك من السماء، وكل من يعلم أو يبشر بتعليم مخالف لتعليم القديس بولس فهو كافر محروم من الجنة ولو كان ملاكًا من لدن الرحمن، يقول بولس لأتباعه: «إن بشرناكم نحن أو ملاك من السماء بغير ما بشرناكم فليكن أناثيما (أي محرومًا من الجنة) كما سبقنا فقلنا أقول الآن أيضًا إن كان أحد يبشركم بغير ما قبلتم فليكن أناثيما» (غلاطية ١ / ٨ ، ٩).

ثم يستطرد القديس بولس في تسفيه مخالفيه وسب منافسيه واصفًا إياهم بالكذب والفجور، ناعتًا أقوالهم بالدنس والضلال يقول بولس عن مخالفيه «الأخوة الكذبة المدخلين خفية الذين دخلوا اختلاسًا ليتجسسوا حريتنا التي لنا في المسيح كي يستعبدونا» (غلاطية ٢ / ٤).

ثم يكتب لصديقه تيموثاوس قائلاً: «وأما الأقوال الباطلة الدنسة فاجتنبها لأنهم يتقدمون إلى أكثر فجور، وكلمتهم ترعى كآكلة الذين منهم هيمينايس وفيليتس (٢ تيموثاوس ص ٢ : ١٦ ، ١٧).

ثم يقرر بولس أخيرًا لصديقه تيموثاوس أن معظم أصحابه قد تركوه

وقاوموا أقواله ورفضوا آراءه لبعدها في نظرهم عن الصواب، يقول بولس: «إسكندر النحاس أظهر لي شرورًا كثيرة ليجازه الرب حسب أعماله، فاحتفظ منه أنت أيضًا لأنه قاوم أقوالنا جدًا، في احتجاجي الأول لم يحضر أحد معي بل الجميع تركوني» (٢ ثيموثاوس ص ٤ ، ١٤ ، ١٥).

ومن الذين خالفوا بولس وقاوموا تعاليمه وآراءه القديس برنابا، وبرنابا، هذا كان أحد الحواريين الاثنى عشر الذين عاصروا السيد المسيح عليه السلام وعاشروه بالجسد، وذلك بعكس القديس بولس الذي لم ير المسيح في حياته على الإطلاق.

وبعد السيد المسيح التقى بولس وبرنابا وسارا معًا فترة من الوقت يعظان ويبشران سويًا، ولكن القديس برنابا الذي شاهد ورافق المسيح الإنسان رفض القول بتأليهه، ورفض دعوة الثالوث والأقانيم فانفصل عن صديقه بولس وكتب رسالة يشرح فيها الحقيقة للناس، محذرًا إياهم من قبول التعاليم المخالفة، يقول برنابا في مقدمة إنجيله: «أيها الأعزاء. إن الله العظيم العجيب قد افتقدنا في هذه الأيام الأخيرة بنبيه يسوع المسيح برحمة عظيمة للتعليم والآيات التي اتخذها الشيطان ذريعة لتضليل كثيرين بدعوى التقوى مبشرين بتعليم شديد الكفر داعين المسيح ابن الله ورافضين الختان الذي أمر به الله دائمًا، مجوزين كل لحم نجس، الذين ضل في عدادهم أيضًا بولس الذي لا أتكلم عنه إلا مع الأسى، وهو السبب الذي من أجله أسطر ذلك الحق الذي رأيته وسمعته أثناء معاشرتي ليسوع لكي تخلصوا ولا يضلكم الشيطان فتهلكوا في دينونة الله، وعليه فاحذروا كل أحد يبشركم بتعليم مضاد لما أكتبه لتخلصوا خلاصًا أبديًا».

أما القديس بطرس فيتنبأ بوجود كثير من المعلمين والمفسرين أمثال برنابا ممن ينكرون ألوهية الأقنوم الثاني ويقاومون دعوة الثالوث، ويصف بطرس

هؤلاء المعلمين الموحدين بالكذب والضلال، ولكنه يقرر أن كثيرين من أفراد الشعب سيتبعون دعواهم الكاذبة إلى الوحدانية، يقول بطرس في رسالته الثانية «كان أيضًا في الشعب أنبياء كذبة كما سيكون فيكم أيضًا معلمون كذبة، الذين يدسون بدع هلاك وإذ هم ينكرون الرب (المسيح) الذي اشتراهم يجلبون على أنفسهم هلاكًا سريعًا وسيتبع كثيرون مهلكاتهم».

ويعترف القديس يوحنا بكثرة الذين خرجوا من صفوفهم منكرين دعوة الثالوث معارضين تأليه الأقنوم الثاني (المسيح) ولكنه يقرر أن الإنكار وتلك المعارضة من علامات قيام الساعة وأن يوم القيامة قد أتى، يقول يوحنا في رسالته الأولى «قد صار الآن أضداد للمسيح كثيرون، من هنا نعلم أنها الساعة الأخيرة، منا خرجوا لكنهم لم يكونوا منا لأنهم لو كانوا منا لبقوا معنا .. من هو الكذاب الذي ينكر أن يسوع هو المسيح هذا هو ضد المسيح الذي ينكر الآب والابن، كل من ينكر الابن ليس له الآب أيضًا ومن يعترف بالابن فله الآب أيضًا، أما أنتم فما سمعتموه من البدء فليثبت إذا فيكم» (١ يو ص ٢ / ١٨ - ٢٤).

ويمر تسعة عشر قرنًا من الزمن لا تقوم فيها الساعة مخيبة نبوءة القديس يوحنا ويكثر عدد المنكرين لألوهية الابن والمعارضين لألوهية الروح القدس والمناوئين لدعوة الثالوث، على خلاف بينهم في الشعاب والدروب، وفي التفاصيل والفروع.

هذه الخلافات الجوهرية بين أصحاب الثالوث أنفسهم وبينهم وبين معارضيهم، إنما تدل بوضوح على غموض تلك العقيدة، وعدم اقتناع أصحابها بها، لمخالفتها لمنطق عقولهم وسوية فطرتهم؛ مما يجعل أصحاب الثالوث أنفسهم في صراع دائم بين منطق عقولهم وحكم ظروفهم، بين عقول فطرت على التوحيد وظروف فرضت التثليث، تعصف بهم الرياح وتتقاذفهم الأمواج،

وقد يلجأ بعضهم إلى التحايل وإلى المزج بين العقيدتين، فيقول بتثليث في وحدانية، أو بوحدانية في تثليث، ولكن هذا المزج على استحالته يزيد الأمر تعقيدًا ويزيد اللغز غموضًا، فكيف يكون الواحد ثلاثة ...؟ وكيف يكون الثلاثة واحدًا ..؟ هل يجتمع النقيضان ..؟ وهل يمتزج الضدان ..؟ هل يجتمع الخطأ والصواب ..؟ وهل يختلط النور بالظلام؟ وهل يمتزج الحق بالباطل ..؟ نقول هيهات .. ثم هيهات.

* * *

الفصل الرابع

القرآن والثالوث

رغم عدم اقتناع أصحاب الثالوث به، ورغم اختلافهم حوله في جملته وتفصيله، وفي عناصره وأقانيمه، فقد دفع الغي والمكابرة بالبعض منهم إلى الادعاء بأن الإسلام وكتابه المنزل على رسوله، القرآن الكريم لا يعترف بوحدانية الله، بل يؤمن بثالوثهم الإلهي، يقول القمص باسيليوس إسحق[1] : «إن البسملة الإسلامية، وهي بسم الله الرحمن الرحيم، تؤيد التثليث فالله هو الآب، والرحمن هو الابن، والرحيم هو الروح القدس».

ونعتقد أن القمص الفاضل قد نسي أن كلا من صفتي الرحمن والرحيم هما بعضًا من الصفات التي لا تحصى لله الواحد الأوحد، وليست جزءًا أو عنصرًا أو أقنومًا من أقانيم الله، فالله سبحانه وتعالى ذو صفات وأسماء عديدة لا يمكن حصرها، وهي إن دلت على شيء فإنما تدل على قدرته وعظمته جل وعلا، وعلى تفرده وحده بالربوبية والتعظيم.

ونحن إذا تابعنا هذا الرأي فإنه يمكن الاستدلال من القرآن ليس فقط على التثليث بل على التسبيع ووجود سبعة آلهة وليس ثلاثة وذلك بما ورد في أول سورة غافر: ﴿حمٓ (١) تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٢) غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ

(١) كتاب الحق ص ١٢٢ وما بعدها .

شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ﴾ .

بل يمكن أيضًا أن يجرفنا الزيغ والضلال فنقرر أن القرآن يثبت وجود سبعة عشر إلهًا وذلك بما ورد في آخر سورة الحشر التي ورد بها سبعة عشر اسمًا وصفة من الصفات التي يتصف بها الرحمن والتي لا يحصيها بيان.

ومع ذلك فإن قسيسنا الفاضل، القمص باسيليوس إسحق يتمادى في ادعائه، ويقوم باستجلاب بعض الألفاظ الدارجة التي يتلفظ بها العامة أحيانًا، ثم يقوم بتحميل تلك الألفاظ فوق ما تحتمل أو تطيق، رغبة منه في إلصاق تهمة التثليث بها وهي بريئة منها براءة الحملان. يقول القمص باسيليوس: «إن القسم المغلظ الذي يقسمه المسلم قائلاً: والله العظيم ثلاثة، فإنما يقسم بالآب والابن والروح القدس، وإذا طلق المسلم زوجته طلقة بائنة فإنه يطلقها ثلاثًا أي أنه يطلقها باسم الآب والابن والروح القدس».

ويستطرد القمص قائلا: «إن المسلم يفتتح صلاته بالتكبير قائلاً: «الله أكبر» والمقصود بذلك مقارنة الله بآخر من ذات جنسة ونوعه، وأن المسلمين بذلك يعتنقون المذهب المسيحي القائل بأن أقنون الآب أعظم من أقنوم الابن ..».

ويقول القمص باسيليوس إن هذه الأقوال وردت في القرآن وأنها تدل على إيمان المسلمين بالثالوث.

وبعد هذا الشرح المستفيض لعقيدة الثالوث وادعاء اعتناق الإسلام لها يعود القمص فيقرر عدم فهمه وإدراكه لحقيقةالثالوث فيقول: «أجل إن هذا التعليم عن التثليث فوق إدراكنا، ولكن عدم إدراكه لا يبطله ..».

والإنسان منا ليعجب في هذا الأمر، كيف يؤمن المرء بعقيدة لا يفهمها..؟ وكيف يحاول أن يقصر غيره على الاعتقاد بما لا يفهمون ولا يفهم؟ بل كيف يصل به التمادي إلى ادعاء اعتناق دين التوحيد الأسمى لعقيدة الثالوث، التي

ما جاء هذا الدين إلا لتحرير العقول والقلوب من أدرانها وترهاتها..؟

وإذا تركنا جانبًا عواطف الدهشة والاستنكار، ثم حاولنا أن نناقش أقوال القمص باسيليوس من الناحية الموضوعية، طالعنا منذ البداية أنها قد بنيت في جملتها على المغالطة والبعد عن الصواب، فلا مراء ولا جدل في أنه لا علاقة للقرآن الكريم الذي نزل من عند الله بألفاظه ومعانيه بتلك الكلمات الدارجة التي أتى بها القمص لتأييد ثالوثه، فهذه الكلمات لم ترد في القرآن، ولم تنزل على رسول الإسلام ﷺ.

ومع تسليمنا بأن هذه الألفاظ قد يستعملها الناس مسلمين وغير مسلمين في أحاديثهم، فإنه لا علاقة لتلك الألفاظ مطلقًا بأحلام القمص الثالوثية، فالمسلم حين يقسم بالله العظيم مرة واحدة ، وحين يكرر قسمه أحيانًا مرتين أو ثلاثة، أو أكثر من ذلك أو أقل ليؤكد عزمه على الوفاء بقسمه، أو حين يعزم على طلاق زوجته فينطق بصيغة الطلاق قائلاً لها : أنت طالق، وأحيانًا يردد تلك الصيغة مرة أو مرات ليؤكد تصميمه على إيقاع الطلاق، هذه الألفاظ التي تخضع في صيغتها وفي عدد مرات تكرارها للبيئة والعرف والعادات الاجتماعية، والتي تختلف صيغتها وتكرار ترديدها من مجتمع إلى آخر ومن بيئة إلى أخرى، على اختلاف دياناتها ومعتقداتها، مثلها في ذلك مثل الأمثال العامية التي تقول إن المرة الثالثة ثابتة، أو العدد عشرة يجلب الحظ والعدد ١٣ يسبب النحس، هذه الأقوال والأمثال في جملتها مستخرجة من ظروف وتاريخ الشعب الذي يستعملها ويسير عليها بصرف النظر عن معتقداته وأديانه،فليس ثمة علاقة بين هذه الألفاظ وبين أي دين من الأديان، كما أنه من الغرابة بمكان أن نحاول إثبات أو نفي عقيدة دينية تتعلق بذات الله باستجلاب الألفاظ والأمثال العامية التي وضعها الناس لحكم معاملاتهم المادية واحتكاكاتهم السوقية.

أما القول بأنه إذا نطق المسلم بلفظ الطلاق ثلاث مرات، أو ألقى يمين الطلاق على زوجته ثلاثًا فإن هذا يعتبر طلاقًا بائنًا، فلا شك أنه قول مرجوح لا يستند إلى دليل ولا يجري عليه عمل، ذلك أن العبرة دائمًا ليست بتكرار الألفاظ أو بترديد الكلمات، وإنما العبرة أولاً وأخيرًا هي بتعدد المرات التي يقوم فيها المسلم من حيث الواقع بتطليق زوجته وإعادتها إلى عصمته، فمهما عد المسلم أيمان الطلاق ومهما كرر التلفظ بصيغة الطلاق مرة أو مرات، ثلاثًا أو عشرًا، فما دام أنه يطلق زوجته - من حيث الواقع - للمرة الأولى، فإن طلاقه هذا لا يعتبر بحال من الأحوال طلاقًا بائنًا، هذا هو حكم الشرع والقانون، وهذا هو ما يسير عليه العمل.

أما التكبير والتعظيم لله الكبير العظيم الذي يفتتح به المسلم صلاته بقوله «الله أكبر» و«الله أعظم» فهو لفظ يعني أن الله أكبر وأعظم من كل ما في الوجود، إنها تعني أن الله أكبر وأعظم من كل شيء، وأنه سبحانه ليس كمثله شيء، إنها تعني تفرد الله وحده بالإكبار والإعظام والإجلال، فالله وحده هو الأكبر والأعظم والأغنى والأعلى من كل ما في الوجود، ولم يدر بخلد إنسان ما يقوله القمص باسيليوس من أن هذا الإكبار والإعظام لله يعني مقارنة بين إلهين أحدهما أكبر أو أعظم من الآخر، حاشا لمؤمن أن يتردى في هذا الضلال.

ويشرع كاتب ثالوثي آخر في محاولة إثبات الثالوث والبرهنة عليه من القرآن ولكن بطريقة أخرى مغايرة لطريقة القمص باسيليوس، ذلك هو الأستاذ يس منصور[1] يقول سيادته: «إن الإسلام يذكر حوالي تسعًا وتسعين اسمًا لله أي أن صفات الله الحسنى نحو ٩٩ صفة، وهذه الصفات متباينة

(١) رسالة التثليث والتوحيد ص ١٠٥ وما بعدها .

ومـخـتلفـة تناقض إحـداها الأخـرى بحـيث لا يمكن التـوفـيق بينهـا في الذات الواحـدة إلا إذا آمنا بالتثليث، فمن أسمـاء الله الحسنى الضـار، المنتقم، ومنهـا العفو الرءوف، ومنها القدوس ، البار.

ويستطرد الكاتب قائلاً: «كيف يكون الله منتقمًا وغافرًا معًا..؟ فالمنتقم يدل على انتقـامه من المذنب انتقـامًا بلا تسـاهل، أما الغـفـور فيـدل على تبـريره للمذنب تبـريرًا شـاملاً، ويضيف قـائلاً: إنه لا يمكن التوفيق بين هذه الصفـات المتناقضة إلا بالقول بالتثليث».

ويعني كاتبنا الألمعي أن نقوم بتوزيع أسمـاء وصفات الله الحسنى على أفراد الثـالوث الإلهي بحـيث يكون لكل أقنوم أو إله من آلهـة الثـالوث عـدة أسـمـاء وصفات متوافقة مع بعضهـا وإن اختلفت مع أسماء وصفات الإله الآخر، فيكون الله الآب مثـلاً هو الضـار المنتقم، ويكون الله الابن هـو العفـو الرءوف الغـفـور، ويكون الله الروح القدس البار.

وقـد يبـدو هـذا الرأي في البـداية - لبـعض الناس - أنه متـوافق مع المنطق، ولكن هؤلاء إذا مـا تمهلوا قليـلاً لتـبـينوا أن هـذا الرأي قـد وصل إلى حـال من البساطة والسذاجة فاقت كل تصور.

إن الأسـتــاذ يس منصـور في رأيه هنـا يعـتنق مـذهب الثنوية الذي كـان منتشـــرًا في بــلاد الفـــرس القـديمـــة إبان الوثنية، والذي كـان يقـسم الآلهـة إلى قـسمـين متـعـارضين كل إلـــه منــهـا يحمـــل صـفـة مناقضة لصفة الإله الآخـر وكـــل إلـــه منــهـا يقوم بعـمل لا يقـوم به الإله الآخر، فـهـذا إله الخـيـر وذاك إلـــه الشـر، وهـذا إله النور وذاك إله الظلام، وهـذا إله الحـرب وذاك إله السلام وهكذا ..

والأستاذ يس في انسياقـه وراء المذاهب الوثنية قد هدم الأسـاس الأول الذي

بنـيت عـليه عـقـيدة الثـالوث من حيث أراد تبـريرها وتدعيمهـا، ذلك أن عقـيدة الثالـوث مؤسسـة على الاعتـقـاد بمشابهـة المخلوقات للخـالق، وبأن البشـر والحيوانات والنبـاتات الراقـيـة مكونة من ثلاثة أجـزاء كالله الثـالوث تمامًا، فـالممـاثلة والمشـابهة بين الخـالق والمخلوق هي الدعـامة الأولى لعقـيدة الثالوث.

ونحن إذا أخذنا الإنسـان، صـورة الله ومـثـاله كـمـا تقـرر نظـرية الثـالوث لوجـدناه يتـصف بعـدة صفـات مـتبـاينة مـختلفـة، وبعدة خـصـائص مـتغـايرة متعارضة تظهر أي منها وقت الحـاجة إليها وتبعًا للظروف التي اقتضتها، فمن صفات الإنسان مثلاً العطف والحنان والقسوة والانتقام، والإنسان نفسه قد تدعوه الظروف تارة إلى القسوة وتارة أخرى إلى الرحمة، فالجندي الذي يكون رحيمًا عطوفًا مع ابنه الصغير هو نفسه الجندي الصلب القاسي مع أعداء وطنه ومـسـتـعـمـريه، والمدرس الذي يقسو على الطلاب الخـاملين هو نفس المدرس الذي ينبض عطفًا على الطلاب النابغين، والعاشق الذي يذوب رقة في معاملة محبوبته قد يكون قاسيًا في معاملة موظفيه وعماله، وهكذا بالنسبة لبقية الصفات والخصائص التي يتحلى بها الإنسان والتي تظهر أي منها تبعًا للظروف والملابسات التي فرضتها وحتمتها. ولم يقل أحد إن من يقسو لظرف لا يرحم لآخر، أو من يحب شخصًا لا يكره آخر، بل إنه حتى الوحوش المفترسة قد أودعت فيها مع القوة والقسوة العطف والحنان، بحيث يمكن أن تتحول في لحظة من التوحش إلى الوداعة ومن العنف إلى اللطف، فالأسد الذي ينقض في شراسة على فريسته لينهش لحمها ويفتت عظامها، هو الأسد نفسه الذي ينساب ليونة في تدليل زوجته، وهو الأسد نفسه الذي يعتصره الحزن والألم عند موت وليده، والأسد كما هو في كافة حالاته، وبجميع صفاته وخصائصه المختلفة المتباينة.

وعقيدة الثالوث ترى أن هذه المخلوقات المتعددة الصفات ما هي إلا صورة للخالق الذي خلقها على صورته وشبهه، ولكن يبدو أن الأستاذ يس منصور يميل إلى حرمان الخالق من الصفات والملكات المتعددة التي تملكها المخلوقات، بحيث إنه يلزم لخلق إنسان مثلاً متعدد الصفات والملكات أن يشترك في صنعه عدة آلهة يمنحه كل منها صفته الخاصة وقدرته الذاتية، وبهذا تتجمع الصفات في المخلوق وتتفرق في الخالق.. إذا لم يكن هذا هو الغي، فماذا عساه يكون..؟ خبرونا أيها العقلاء!!

والقرآن يقرر أن كافة الصفات والقدرات والأسماء التي لا تحصى ولا تعد والتي أورد منها ٩٩ اسمًا هي لإله واحد لا شريك له ولا مثيل، وأن هذه الصفات والأسماء «إنما تدل على قدرة الله وتفرده بالقوة والعظمة، يقول سبحانه ﴿هُوَ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الأُولَىٰ وَالآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (القصص ٧٠) ويقول عز من قائل ﴿الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى﴾ (طه: ٨).

أما دعوة الثالوث وعباد الثالوث فيورد القرآن فيها حكمه القاطع ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (المائدة ٧٣).

* * *

الفصل الخامس

العقل والثالوث

العقل أسمى ما أودع الله في الإنسان من ملكات، وأعز ما يعتز به الناس من قدرات، ويتباهون به على سائر المخلوقات، به اهتدى البشر إلى معرفة الخالق، وإلى فهم الخير والشر، وإلى التمييز بين الصواب والخطأ، وإلى التفرقة بين الحق والباطل.

هذا العقل الذي يرشدنا في كافة أمورنا، ويقود خطانا في جميع طرقنا، وفي شؤون دنيانا وآخرتنا، والذي منحنا الله بواسطته القدرة على التحكم والسيطرة في بقية المخلوقات والموجودات، نسيرها بعقولنا وفق إرادتنا، والذي بسببه خضعنا لقانون الثواب والعقاب وأصبحنا مسؤولين عن أعمالنا في الحياة وبعد الممات، وخاطبتنا رسالات السماء وتشريعات الأرض، لنفهمها بعقولنا ونتبعها بإدراكنا، ونحاسب عليها بعد ذلك ثوابًا وعقابًا، ولولا هذا العقل لما حاسبنا أحدٌ ولما سألنا سائل.

هذا العقل محور التفضيل وأساس المسؤولية، من حقه أن يدرك ما يلقى إليه من شرائع ومعتقدات، وأن يفهم ما يطلب منه اتباعه من قضايا ونظريات، فيستطيع أن يسير عليها في اقتناع ويقين، ويمكن أن يحاسب عليها في وضوح وتبيين، فإذا لم يستطع العقل أن يفهم شيئًا مما يلقى إليه فإنه لا يمكنه أن يسير عليه، ولا يمكن لأحد أن يسأله أو يحاسبه، وإلا جاز مساءلة البهائم

والأحجار عن كافة شرائع الأرض والسماء ، وهذا ما لم يقل به أحد .

هذا العقل قبس العلم الإلهي غير المحدود، وشعاع الحكمة الإلهية المتناهية، إذا ما عرضنا عليه قضية الثالوث، وحاولنا أن نناقش تفصيلاتها على ضوئه، وأن نقربها إلى إدراكه، فلا شك أن الفشل سيكون حليفنا في كافة المحاولات ومهما بذلنا من مجهودات.

إننا إذا افترضنا مع أصحاب الثالوث أن هناك ثلاثة آلهة أو ثلاثة أقانيم إلهية أزلية، فإما أن تكون هذه الآلهة الثلاثة قد اتفقت سويًا على خلق الكون وترتيب نظامه، وإما أن تكون قد اختلفت فيما بينها حول ذلك.

فإذا كانت الأقانيم أو الآلهة الثلاثة قد اتفقت على أن تقوم معًا بهذه المهمة فمعنى ذلك احتياج كل أقنوم أو إله منها إلى الآخر، وعدم استقلال أي منها في عمله و(عجز) أي إله عن القيام بالعمل وحده، وهذا العجز ينفي عنه صفة الألوهية، ذلك أن العجز من صفات المخلوقات: أما الإله فإنه لا يمكن أن يكون عاجزًا ولا أن تتوقف قدرته على سواه.

فإذا افترضنا أن الأقانيم أو الآلهة الثلاثة قد اتفقت فيما بينها على اقتسام مهمة الخلق وعلى توزيع العمل فيما بينها، فيقوم الإله الآب مثلاً بخلق السموات والسيطرة عليها، ويقوم الإله الابن بخلق الأرض والبحار والتحكم فيها، ويقوم الإله الروح القدس بخلق بقية الكون وتسيير دفته، فإن معنى ذلك أن سلطة كل أقنوم أو إله محدودة، فيصدق على أحدهم ما لا يصدق على الآخر، ويقدر أحدهم على ما لا يقدر عليه الآخر وهذا يتعارض أيضًا مع صفات الألوهية التي من مستلزماتها أن تكون سلطة الله وقدرته غير محدودة.

فإذا كانت الأقانيم أو الآلهة الثلاثة قد اتفقت على أن يقوم أحدها بالعمل

دون الإلهين الآخرين فيقوم الله الآب مثلاً بكل العمل وحده فحينئذ يكون الإلهان الآخران عاطلين أو عاجزين، ويصبحان لا فائدة ولا قيمة لأيهما ولا داعي لوجودهما الذي لا يضيف جديدًا إلى الحقيقة الإلهية، فلا يكون أي من الآخرين إلهًا.

كذلك فإننا إذا تصورنا وجود أكثر من أقنوم أو إله واحد في الكون، لكان كل إله منها متحيزًا بمكان خاص به والمتحيز بمكان لا يكون أزليًا بل يكون حادثًا، فلا يمكن أن يكون أي منهم هو الله، فالله لا يتحيز بحيز، ولا يحده مكان وهو سبحانه موجود منذ الأزل وليس حادثًا بعد زمن معين، فلا يمكن إلا أن يكون إلهًا واحدًا أزليًا سرمديًا لا يحده زمان ولا مكان.

ثم إنه من المعروف أن الكثرة لا توجد في الكائنات إلا حيث يوجد الضعف والانقراض فيها وذلك لكي يحل أفرادها كل عوضًا عن الآخر عند انقراضه، حفظًا لكيانها وإبقاء على نوعها، والله موجود منذ الأزل إلى الأبد، لا يضعف ولا يهرم ولا يتغير على الإطلاق فلا يمكن أن يكون سواه.

والحقيقة أن وجود أكثر من إله سرمدي واحد مستحيل ذلك أن بلوغ الكمال المطلق في صفة من الصفات يمنع بلوغ كمال مطلق آخر في تلك الصفة فلا يمكن أن يتحقق وجود كائنين كليهما يطابق الآخر ولا يتمايز عنه في شيء مطلقًا، فحتى التوائم فإنها إذا اتحدت في صفاتها الجسدية فلا بد أن تختلف في صفاتها الخلقية والروحية، والبشر على الأرض بآلاف الملايين ومع ذلك فإنه لا تطابق في أي منهم مع أخيه، والخطوط مهما تقاربت فإنها تتمايز، والأصوات وبصمات الأصابع وغيرها فإنها مهما تشابهت فإنها أيضًا لا تتطابق، وبالتالي فإنه لا يمكن وجود مماثلة تامة بين أي كائنين في كافة الصفات والقدرات ذلك أنه عند التعدد لا بد من التمايز والتغير، فيريد أحد الكائنين ما لا يريده الآخر، ويعمل أحدهم ما لا يعمله الآخران ويقدر أحدهم

على ما لا يقدره الآخران، ولا يمكن أن ينتظم على هذا التغاير والتمايز نظام واحد ذلك أن وجود أكثر من إله واحد في الكون مدعاة إلى وجود التنافس والتنازع بين الآلهة، إما فيما بينها حول الرئاسة أو الزعامة أو الأفضلية لأى منها على الآخر، وحول اختصاصات وسلطات ووظائف كل أقنوم أو إله بالنسبة للآخرين، وإما حول المخلوقات وإفنائها، أو رفعها وخفضها أو إسعادها وإشقائها، أو غير هذا وذاك.

هذه الخلافات التي أقر بحدوثها أصحاب الثالوث بين أقانيمهم الإلهية وذلك بمناسبة الحديث عن غفران خطيئة آدم[1] مقررين أن الله الآب (الحاكم القاضي) قد أصدر حكمه بالموت والهلاك والشقاء على آدم ونسله من البشر وذلك لعصيانه ربه وأكله من الشجرة المحرمة، ولكن الله الابن (المخلص الفادي) لم يوافق على هذا الحكم فقام بإلغائه وأمر بتخليص البشرية وغفران خطاياها، أما الله الروح القدس (المقدس المحيي) فيبدو أنه انحاز إلى جانب الله الابن في معارضة حكم الله الآب فقام بتقديس وإحياء الخطاة والآثمين، كل هذا رغم إرادة الآب الحاكم القاضي.

هذه الخلافات التي تحدث بين الأقانيم الإلهية المتعددة والتي لا بد من حدوثها بين كل اثنين قد تكون فيها الطامة الكبرى على الكون والبشر، إن أي تغير أو انحراف في حركات الكواكب أو المجرات أو النجوم فيه القضاء على الوجود، فكيف الحال بصراع الآلهة ... من يا ترى تكون له الغلبة منهم؟ ومن هم مؤيدو كل إله في نزاعه مع زميليه؟ ومن هم ضحايا هذا النزاع من المخلوقات..؟

يقول القرآن الكريم: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا

(١) انظر ما سبق.

خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ (المؤمنون : ٩١).

نعم إن وجود أكثر من إله واحد مدعاة للتناحر بين الآلهة، ومدعاة لانحياز كل إله لمخلوقاته من البشر والكائنات وتفضيلهم وتقريبهم عن مخلوقات غيره، فهذا يحي مخلوقاته ويفني مخلوقات غيره، وهذا يغني مخلوقاته ويفقر مخلوقات غيره، وهذا يسعد مخلوقاته ويشقي مخلوقات غيره، إله يشيد وآخر يهدم، إله يرفع وإله يخفض.. هكذا تتعدد الميول، وتتغاير الآراء وتتمايز النزعاتت بين الآلهة.

ثم إن هذا التعدد الإلهي مدعاة إلى التنافس والتزاحم بين الآلهة حول الأفضلية والتقدم، وحول الدرجة والمرتبة، وحول الرئاسة والزعامة، يقول القرآن: ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّابْتَغَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ (الإسراء: ٤٢). نعم إنه لا إله إلا الله وإلا لشاركوه في ملكه ولنازعوه في سلطانه، ولزاحموه في عرشه، ولكنه وحده مالك الملك الجبار المهيمن، الذي لا يزاحمه فرد ولا يطاوله أحد.

ثم يقدم القرآن الدليل العقلي الواضح الذي يؤكد استحالة تواجد أكثر من إله واحد في الكون فيقول عن السموات والأرض ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ (الأنبياء: ٢٢). نعم إن تعدد الآلهة يؤدي إلى انقسامها وتنازعها، وإلى تنابذها وتناحرها، وفي خضم هذا الصراع تفسد السموات والأرض، وتفنى الموجودات ويحل بالكون الدمار.

إن كل هيئة أو منظمة أو مؤسسة في الوجود ليس لها سوى رئيس أو قائد واحد، فالدولة رئيسها واحد والطائرة قائدها واحد، والسفينة إذا قادها اثنان غرقت، والوحدانية هي طبيعة النظام فلا يقبل العقل أن يتحكم في الكون أكثر من قوة واحدة، فإذا أمعنا النظر فيما يحيط بنا ولاحظنا الكائنات والموجودات

المتجانسة، وتأملنا الأرض التي نعيش فوقها وكيفية دورانها حول نفسها ودورانها في نفس الوقت حول الشمس في دقة وإحكام، ثم تعاقب الفصول في دورية وثبات، وحركات الكواكب والنجوم والمجرات، تدور في نظام محكم حول بعضها وحول نفسها بسرعة فائقة فلا تنحرف ولا تتصادم، وإذا تفحصنا ما ركب في جسم الإنسان والحيوان والحشرة والنبات من أجهزة معقدة وخلايا وذرات متعددة تعمل في نظام وتتحرك في إحكام. إذا تأملنا بعضًا من ذاك وغير ذلك الكثير، لأيقنا أن هذا الكون العظيم خاضع لمبدأ واحد استنه مدبر واحد، فلو تعدد خالق الكون ومدبره لوجدنا التناقض وعدم الاتفاق ولحلت الفوضى محل النظام، ولتنازعت الآلهة والأقانيم ولفسدت الأرض والسموات، ولهلكت الكائنات والموجودات، ولتلاشى الكون والوجود.

ولكن .. قد يقول بعض أصحاب الثالوث، إننا لا نقول بوجود ثلاثة آلهة وإنما نقول بوجود إله واحد مركب أو مكون من ثلاثة عناصر أو أقانيم.

وإذا ما حاولنا عرض هذا القول الأخير على صفحة العقل للفظه أيضًا في بداهة سريعة، فلا يمكن للعقل أن يتصور إلهًا واحدًا مكونًا أو مركبًا من أجزاء أو عناصر ثلاثة، فالشيء المركب لا يتكون ولا يتم وجوده إلا بعد وجود تلك العناصر والأجزاء، فوجود الأجزاء يسبق تكونها وتركبها، والله لم يكن مسبوقًا بشيء، فهو الأزلي وحده، فكيف يمكن أن يكون مكونًا من أجزاء أو عناصر؟ إن وحدانية الله وحدانية مطلقة، وحدانية لا تركيب فيها على الإطلاق وليس وحدانية في تثليث.

كذلك فإن الشيء المركب يفتقر في تحققه وتكونه إلى كل جزء من أجزائه، فإن لم يفتقر بعض الأجزاء إلى الآخر لا يمكن أن تتألف منها الذات الأحدية، والله لا يفتقر إلى شيء ولا يحتاج إلى أحد، فهو الغني وحده والكل محتاج إليه.

كما أنه لا بد للمركب من مركب يتولى تركيب أجزائه وعناصره وضم بعضها إلى بعض، حتى يتكون الكل ويصير كاملاً. فالأجزاء والعناصر لا ينضم بعضها إلى البعض الآخر دون علة، والله سبحانه وتعالى لم يكونه أو يركبه أحد ولا علة له، فهو موجود بذاته أزلاً.

كذلك فإن الشيء المركب محدود بكمية أجزائه وعناصره ومقدارها، فهو محدود الأجزاء التي ركب منها، وبالتالي فمن الممكن رؤيته وتحديده فهو يتحيز بمكان وحيز معين، والله جل في علاه غير محدود ولا متناه، ولا يحده مكان أو زمان ولم يره أحد، فهو غير مركب بل هو واحد وحدانية مطلقة، يقول الفيلسوف أرسطو : «كل مركب صائر إلى الانحلال، لذلك لا يكون الواحد إلا بسيطًا غير قابل للتجزئة».

ويقول المرحوم الشيخ «رحمة الله» الهندي في كتابه إظهار الحق متحدثًا عن استحالة الجمع بين الوحدانية والتثليث لمخالفة ذلك لكل عقل ومنطق «الواحد الحقيقي ليس له ثلث صحيح أما الثلاثة فلها ثلث صحيح وهو واحد، وأن الثلاثة مجموع آحاد ثلاثة والواحد الحقيقي جزء الثلاثة، فلو اجتمعنا في محل واحد يلزم كون الواحد ثلث نفسه والثلاثة ثلث الواحد، وكون الثلاثة ثلاثة أمثال نفسها والواحد ثلاثة أمثال الثلاثة».

ثم يروي الشيخ رحمة الله أن أحد القساوسة تولى تنشئة ثلاثة من الصبية الرهبان في أحد الأديرة وعلمهم كافة العقائد المسيحية وخاصة عقيدة الثالوث ثم حضر يومًا أحد أصدقاء القسيس وسأله عن حال الصبية الثلاثة ومدى إلمامهم بالعقائد المسيحية، ثم طلب واحدًا منهم ليرى صديقه وسأله عن عقيدة الثالوث، فقال الصبي: لقد علمتني أن الآلهة ثلاثة أحدهم الذي هو السماء والثاني تولد من مريم العذراء، والثالث الذي نزل في صورة حمامة على الإله الثاني فغضب القسيس وطرده، ثم طلب الثاني وسأله فقال: إنك

علمتني أن الآلهة كانوا ثلاثة وصلب واحد منهم فالباقي إلهان فغضب القسيس وطرده، ثم طلب الثالث وكان ذكيًا عن الباقين فسأله فقال: لقد علمتني أن الواحد ثلاثة والثلاثة واحد وقد صلب واحد منهم ومات فمات الكل لأجل الاتحاد ولا إله الآن وإلا يلزم نفي الاتحاد.

هذا هو أقصى ما استطاع الصبية الثلاثة فهمه عن عقيدة الثالوث وهو أيضًا ما يستطيع أي ذي عقل أن يفهمه، هذا إن استطاع الفهم، ولقد أدرك هذه الحقيقة أساقفة الثالوث أنفسهم وكبار أحبار وفلاسفة المسيحية، فهم رغم اضطرارهم بحكم الظروف إلى الدفاع عن عقيدة الثالوث ومحاولة تبريرها للعامة والبسطاء، فإنهم يشعرون في أعماقهم بمجافاتها للعقل والمنطق، وببعدها عن الحق والصواب، وإننا نجد هؤلاء الأحبار والفلاسفة كثيرًا ما يعترفون بهذا الواقع رغم كافة الظروف، بعضهم يعترف في صراحة والبعض يقرر في وجل، مستجيبين لصرخات عقولهم التي فطرت على التوحيد فلم تستطع هضم التثليث.

يقول القس توفيق جيد[1]: «إن الثالوث سر يصعب فهمه وإدراكه، وأن من يحاول إدراك سر الثالوث تمام الإدراك كمن يحاول وضع مياه المحيط كلها في كفه..».

ويقول القمص باسيليوس إسحق في كتابه الحق «أجل إن هذا التعليم عن التثليث فوق إدراكنا ولكن عدم إدراكه لا يبطله..».

أما الأستاذ يس منصور [2] فإنه بعد شرحه المستفيض لعقيدة الثالوث يقرر «أن من الصعب أن نحاول فهم هذا الأمر بعقولنا القاصرة».

---

(١) سر الأزل ص ١١ .

(٢) التثليث والتوحيد ص ٣٢ .

ثـم يأتي الأسـتاذ عوض سـمعـان[1] فيقـول أيضًا فـي صراحـة : «إننا لا ننكر أن التـثليث يفـوق العـقل والإدراك ولكنه يتـوافق مع كـمـال الله كل التـوافق» ويسـتطرد الأسـتاذ عوض قائـلاً: «لقد حاول كثيـرون من رجال الفلسـفة توضيح إعـلانات الكتـاب المقـدس عن ذات الله، أو بالحـري عن ثالوث وحـدانيتـه فلم يستطيعوا إلى ذلك سبيـلاً، لأنهم انحـرفوا عن أقواله واعتمدوا على عقولهم وحدها..».

والأمـر يدعـو للحيـرة، ترى إذا كـان الفـلاسـفـة والعلمـاء قـد عـجـزوا عن فـهم هذا الثالوث فـمن يا تـرى يستطيع فهمـه؟ وما هو موقف البسطاء والعـامة إذ ما حاولـوا الفهم؟ وإذا لم نسـتطـع إدراك عقـائدنا الدينية بعقـولنا وأفهامنا فبماذا يا ترى يمكننا إدراكها؟ هل يطلب منا دعاة الثالوث أن نتخلى عن عقولنا ونسلم بالثـالوث!! وإذا كنا جـميعًا نحن وهم، لا ندرك هـذا الثـالوث، فـكيف يمكن لأي منا أن يتبعه أو يسير عليه ..؟

يقـول القس بوطر صـاحب رسـالة الأصـول والفـروع بعد أن اسـتعـرض عقيدة الثالوث وشعـر بمبلغ ما هـي عليـه من غـموض وإبهـام «قد فـهمنا ذلك على قـدر طاقـة عقـولنا، ونـرجـو أن نفـهـمـه أكـثـر جـلاء فـي المسـتقـبل، حين ينكشـف لنا الحـجاب عن كل مـا فـي السموات والأرض، وأما فـي الوقـت الحـاضـر ففـي القـدر الذي فهمناه الكفاية».

والقس بوطر يربط رغبته في تفهم عقيدة الثالوث برجاء مستحيل التحقيق وهـو أن يعطيـه الله معـرفـة كـافة أسـرار ومكنونات السـموات والأرض وهـو العلم اللامـتنـاهـي الـذي يخـتـص به الله وحـده، وشـتـان بين فـهم أسـرار السـمـوات والأرض، وبين فـهم عـقيدة دينية يطلـب من الناس اعـتناقها والسيـر عليـها فـي

(١) الله ذاته ونوع وحدانيته ص ٤ .

حياتهم الدنيوية، شتان بين الواجب والمستحيل، شتان بين العقائد الدينية التي أوجب الله على الناس فهمها بعقولهم ليتمكنوا من اتباعها والسير عليها، وبين أسرار وخفايا اختص الله بها نفسه وحجبها عن البشر، والربط بين هذا وذاك جعل الاثنين في حكم المستحيل، فكأن القس يقول إنه لكونه لا يستطيع فهم أسرار السموات والأرض فهو لا يفهم سر الثالوث الإلهي، أما قوله إنه قد فهم الثالوث على قدر طاقة عقله رغبة منه في اتهام عقله بالضعف والقصور لعدم إمكانه فهم الثالوث، فلا شك أنه اتهام مجحف لا نرضاه للكاتب، كما لا تؤيده حقائق الأمور.

يقول المرحوم الدكتور عبد الله دراز[1] إنه لا يقول بالتعدد إلا العقل القانع المتعجل الذي يقف عند أدنى مبادئ الغيب وغاياته، فيرى أن وراء كل فصيلة من الظواهر الكونية مبدأ يدفعها وينظمها، فيقوده ذلك إلى الاعتقاد بوجود إله للريح وإله للشعر وإله للحرب وهكذا، أما العقول الواعية الطليقة المتسامية فإنها ترى أن خلف هذا كله قوة واحدة أسمى وأعظم تصرف جميع الشؤون، فهي لا ترضى بآحاد القوانين ولكنها تسمو إلى قانون القوانين، وتستشرف إلى اليد التي جمعت تلك للقوانين ونسقتها..».

هكذا يبين لنا مدى مجافاة عقيدة الثالوث لأبسط قواعد العقل والمنطق والحساب، ومدى بعدها عن الواقع والحق والصواب، ولقد قمت بنفسي بمناقشة كثير من الأخوة المسيحيين في مدى فهمهم وتقبلهم لهذه العقيدة. تارة حين كنت محسوبًا في الجماعة المسيحية وتارة بعد انسلاخي عنها، وكثير من هؤلاء المسيحيين أصدقاء وأقارب يولوني ثقتهم ويصدقوني الحديث فأخبروني أنهم لا يستطيعون فهم كنه الثالوث المقدس، وأن كثيرين منهم يعيشون في

---

(١) الدين ص ٨٩ .

صراع بين عقولهم وموروث معتقداتهم، وحين تناقشت في ذلك مع بعض الآباء الكهنة أخبروني أنه يجب الإيمان بالثالوث دون أي تمحيص أو تفكير، وأنه يلزم التسليم بهذا الاعتقاد الثالوثي تسليمًا مطلقًا أي تسليمًا أعمى، فعلى المسيحي أن يؤمن ويعتقد أولاً في الثالوث المقدس ثم يمكنه أن يجتهد بعد ذلك في فهم ما اعتقد، فإذا لم يفلح في ذلك فإنه خير له أن يلغي عقله ولا يلغي عقائد الآباء، وتراث الأجداد، وتعاليم القسوس.

والحقيقة أن هذا الذي يدعو إليه آباؤنا الكهنة ويبغون قسرنا عليه شيء عجيب، فكيف يستطيع الإنسان منا أن يلغي عقله الذي لا يعيش إلا بهديه والذي يفضله على العيش نفسه، إن الأخ المسيحي في محاولته فهم عقيدة الثالوث إنما يصارع كل عقل وفكر ومنطق، وفي خضم هذا الصراع بين منطق عقله وموروث اعتقاده قد يصل به الأمر إلى الإلحاد. وهذا ما وصل إليه الكثيرون فعلاً للأسف المرير. في مقالة للدكتور وولتر لندبرج[1] يقول فيها : «إن جميع المنظمات الدينية المسيحية تبذل محاولات لجعل الناس يعتقدون منذ طفولتهم في إله على صورة إنسان بدلاً من الاعتقاد بأن الإنسان قد خلق خليفة لله على الأرض، وعندما تنمو العقول بعد ذلك وتتدرب على استخدام الطريقة العلمية فإن تلك الصورة التي تعلموها منذ الصغر لا يمكن أن تنسجم مع أسلوبهم في التفكير أو مع أي منطق مقبول. وأخيرًا عندما تفشل جميع المحاولات في التوفيق بين تلك الأفكار الدينية القديمة وبين مقتضيات المنطق والتفكير العلمي نجد هؤلاء المفكرين يتخلصون من الصراع بنبذ فكرة الله كلية..».

---

(١) كتاب «الله يتجلى في عصر العلم» ص ٣٢ تأليف نخبة من العلماء الأمريكيين ترجمة د. الدمرداش عبد الحميد سرحان.

إن العالم الأمريكي يقرر هنا أن تمثيل رجال الدين الله بالإنسان مكون من ثلاثة عناصر أو أجزاء: ذات ونطق وحياة، هذه الصورة الغريبة التي تخالف كل فكر وطبع والتي يسعى رجال الدين جاهدين في دعوة الناس إلى تقبلها، تجعل المسيحي المثقف في صراع دائم بين هذه الأفكار وبين مقتضيات عقله ومنطقه، وفي دوامة هذا الصراع إما أن يصل إلى الحقيقة ويجهر بها معلنًا التوحيد وإما أن يفضل السلامة فيكتفي بالإلحاد.

وهذا الذي يدعونا إليه آباؤنا الكهنة من إلغاء العقول وتقبل النقول دون فكر أو روية إنما يخالف الدين الذي يرتدون زيه بل ويخالف كافة الأديان السماوية التي ما نزلت إلا لذوي العقول، فالعقل هو المخاطب دائمًا برسالات السماء، وكل من يطالع تلك الرسالات يجد الحض فيها دائمًا على التفكير وإعمال العقل، فالتوراة تدعو الناس إلى استعمال عقولهم، والله في التوراة يخاطب الإنسان في حنو وترفق «أقبل علينا ودعنا نفكر معًا» والأناجيل أيضًا تدعو إلى إعمال العقل، ولقد كان السيد المسيح عيسى عليه السلام حريصًا في كافة عظاته للناس أن يقرنها بالأمثلة العقلية التي تدفعهم إلى التفكير والتدبر. أما القرآن خاتم الرسالات السماوية فإنه يخاطب العقل في كافة آياته ويجعل التفكير والتدبير أعلى درجات العبادة، ويضع العقلاء والعلماء في أقرب المراتب وأدناها إلى الله، يقول سبحانه وتعالى: ﴿ **قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ** ﴾ (الزمر: ٩)، ولأولي الألباب نزلت الأديان، وتفضل الله بمخاطبة الإنسان، أما غير أولي الألباب فهم الأحجار والدواب، وهؤلاء لا دين لهم ولا عقيدة، يقول محمد خاتم المرسلين: «**الدين هو العقل، ولا دين لمن لا عقل له**».

ويقول عليه الصلاة والسلام: «**فقيه واحد خير عند ربه من ألف عابد**».

ومع ذلك. فإنه يبدو أن أصحاب الثالوث لا يؤمنون بالعقل، ولا برسالات السماء، ولا بأقوال الأنبياء، وإلا لما أصروا على اعتقادهم رغم مناقضته لكل ذلك.



الفصل السادس

الوثنيــة والثــالــوث

يرى الباحثون في الأديان أن القول بالثالوث الإلهي هو مرحلة وسطى بين التعدد المطلق للآلهة وبين التوحيد التام، فمنذ نشأة الخليقة والإنسان في بحث دائب عن القوى الخفية التي تحكم الكون وتنظم الوجود.

وفي المرحلة البدائية، أي في مرحلة التفكير الطفولي للإنسان لم يكن قادرًا على أن يجمع هذه القوى كلها في كائن واحد وأن يردها كلها إلى مصدر واحد، فكان له في كل مظهر من مظاهر القوى وفي كل ظاهرة من ظواهرها نظرة تقديس ورهبة وعبادة وولاء، فعبد الإنسان ضار الحيوانات ونافعها ثم عبد الأحجار والأصنام والأنهار، ثم عبد الشمس والقمر والنجوم والكواكب والرياح.

وفي المرحلة الوسطى للبشرية أخذ عدد الآلهة يتناقص شيئًا فشيئًا حتى اقتصر في معظم الأحيان على إلهين أو ثلاثة، فمن الشعوب من قسم الآلهة إلى قسمين، إله للخير وإله للشر، أو إله للنور وآخر للظلمة، أو إله للحرب وآخر للسلام، فلا تجتمع صفتان متناقضتان في إله واحد، وهذا هو مذهب الثنوية الذي كان منتشرًا في بلاد الفرس القديمة، وهو أيضًا قريب لما يقول به الأستاذ يس منصور عن تعدد

صفات الله[1] وتقسيم تلك الصفات حسب توافقها بين أفراد الثالوث الإلهي.

ومن الشعوب أيضًا من يتصور الله عبارة عن أسرة مكونة من إله ذكر تقابله أنثى ولهما ولد أو أولاد بنون وبنات، وقد تصور عرب الجاهلية أن الملائكة بنات الله فأتى القرآن مسفهًا أحلامهم: ﴿ وَجَعَلُوا الْمَلائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴾ (الزخرف:١٩).

ومن تلك التصورات مذهب الثالوث وهو تقسيم الله إلى ثلاثة آلهة أو ثلاثة عناصر آب وابن وروح قدس، أو آب وابن وأم كما يقول المريميون، أو ثلاثة آلهة صالح وطالح وعدل بينهما كما تقرر فرقة عرقيون، وغير ذلك من التصورات.

وهذه التصورات تعتبر مرحلة من المراحل التي مر بها العقل قبل أن يرتقي إلى التوحيد الخالص والتنزيه المطلق، فهي تكون نسيجًا من مخلفات مرحلة أحلام الطفولة الإنسانية وبقايا مواليد الفكر الوثني الذي يجسد الله وينزله إلى العالم الأرضي ويعايشه معايشة الإنسان للإنسان.

ولا شك أن العقول المريضة والنفوس الضعيفة وخاصة عقول ونفوس الأمم الوثنية أعجز من أن تسمو حتى تتصل بالوجود كله كيما تدرك وحدته ممثلة فيما هو أسمى من كل ما في الوجود ممثلة في الله ذي الجلال، وهي لذلك تقف عند مظهر من مظاهر هذا الوجود، كشمس أو قمر، أو ذئب أو بشر، ثم لا تستطيع الارتفاع والسمو إلى تصور وإدراك ما يدل عليه هذا المظهر من وحدة الوجود ووحدانية خالق الوجود.

---

(١) انظر ما سبق .

والمتتبع لتاريخ الأديان الوثنية يجد أن الثالوث المقدس يعتبر أصلاً من أصولها ومعتقدًا من أهم معتقداتها، وقد قال بهذا الثالوث قدماء المصريين وقال به الهنود وقال به غيرهم من الأمم الوثنية، وسنقتصر هنا على إيراد نبذة موجزة عن الثالوث المصري وأخرى عن الثالوث الهندي.

الثالوث المصري:

تدل الرموز التي اكتشفت عن الثالوث المقدس عند قدماء المصريين على مشابهته تمامًا للثالوث المسيحي سواء في عدد الأقانيم أو في خاصية كل أقنوم منها.

ويتكون الثالوث الفرعوني من ثلاثة آلهة أو ثلاثة أقانيم إلهية وهي:

(١) **الإله اوسيري** (ويسمى الآب أو الوالد).

(٢) **الإله هور** (ويسمى الابن أو النطق أو الكلمة).

(٣) **الإله إيس** (وتسمى الأم أو الوالدة).

(١) الإله أوسيري:

الأقنوم الأول المصري، والاعتقاد عن أوسيري أنه هو الإله الأكبر العظيم علة ولادة الأقنوم الثاني هور، وخالق كل المخلوقات وحاكم الأزلية ورب الأرباب.

ونجده مرسومًا على الآثار جالسًا على منبر القضاء ليدين كل واحد حسب أعماله، ونجده أيضًا قابضًا بيده اليمنى على علامة تعني الحق أو العدل، وتلفظ «هق أو حق» وبيده اليسرى علامة أخرى تعني الانتقام والمجازاة وهي تشير إلى أن الإله أوسيري حاكم عادل منتقم، وهذا القول يتفق مع عقيدة أصحاب الثالوث عن الله الآب (الأقنوم الأول في الثالوث المسيحي)، وأنه يمثل العدل والقصاص لحكمه على آدم وذريته بالهلاك

الأبدي بسبب أكله من الشجرة المحرمة.

(٢) الإله هور:

وهو الأقنوم الثاني في الثالوث المصري، وهو ابن الإله أوسيري الأقنوم الأول، وهو النور والشمس المشرقة وهو إله النطق والكلام، ولذا صوروه رافعًا إصبعه إلى فمه، كما شبهوه أيضًا بعجل، ولكنه عجل ممتاز عن بقية العجول، وله نعرة بيضاء مثلثة على جبهته وجعران تحت لسانه رمز للقيامة والخلود، ولد من نار اللاهوت من عجلة بكر لم تلد سواه، وهو يحمل ذنوب وخطايا العالم وهو غير الأقنومين الآخرين تشبه وحده بإنسان ليكون قابلاً للموت ولذلك شبهوه بالثور وسموه جبي.

وقد ورد في الأصحاح الخامس عشر من إنجيل لوقا عن السيد المسيح ابن الله وكلمته أنه هو العجل المسمن وأنه المخلص الذي تجسد ليفدي البشر من الخطايا.

(٣) الإله إيس:

الأقنوم الثالث الفرعوني والاعتقاد عنها أنها ملكة السماء وأنها أم الأقنوم الثاني، وقد رمزوا لها بصورة طائر جميل يشبه العصفور وعلى رأسه صولجان رسموا بجانبه علامة الحياة، وهم يشيرون بذلك أن الإله إيس هي باعثة الحياة للبشر، والمعروف عن الروح القدس أنها مصدر حياة البشر طبقًا لعقيدة أصحاب الثالوث، كما صوروا الإله إيس أيضًا امرأة جالسة على عرش ترضع هور ابنها (الأقنوم الثاني) وعلى رأسها تاج الملك وقرص الشمس، وهذا أيضًا يشابه قانون الإيمان المسيحي الذي ينص على أن الإله الابن قد تجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء. وقد أكد العلامة جارسلاف كريني أستاذ الحفريات بجامعة أكسفورد ببريطانيا في كتابه (ديانة قدماء المصريين) وجود

التماثل والتطابق التام بين الثالوث المسيحي والثالوث الفرعوني الأمر الذي دعاه إلى التقرير بأن الثالوث المسيحي مأخوذ عن الثالوث الفرعوني.

الثالوث الهندي:

يقرر الأستاذ مالفير وجود تشابه كبير بين الثالوث الهندي والثالوث المسيحي، ويضيف أنه ذكر في الكتب الهندية القديمة التي ترجمت إلى الإنجليزية شارحة عقيدة الهنود القدماء ما نصه «نؤمن بسافتري أي الشمس، إله واحد، ضابط الكل، خالق السموات والأرض وبابنه الوحيد آني أي النار، نور من نور مولود غير مخلوق، تجسد من فايو أي الروح في بطن مايا العذراء، ونؤمن بفايو الروح المحيي المنبثق من الآب والابن الذي هو مع الآب والابن يسجد له ويمجد».

ويلاحظ هنا التشابه التام بين هذا القانون الإيمان وبين قانون الإيمان المسيحي، والثالوث الهندي وهو بسافتري «الشمس» أي الآب السماوي وآني «النار» أي الابن وهو النار المنبثقة من الشمس وفايو «نفحة الهواء» أي الروح، هذا الثالوث هو أساس المذاهب عند الشعوب الهندية القديمة.

وتؤمن طوائف أخرى من الهنود بثالوث آخر، هو الإله براهما في صورة الخالق والإله فشنر في صورة الحافظ والإله سيفا في صورة الهادم.

وقد تأخذنا الدهشة، كيف بثالوث الشعوب الوثنية يتسرب إلى الديانة المسيحية؟! كيف بوثنية الأرض تتسلل إلى ديانة السماء..؟ إن المسيحية رسالة سماوية نزل بها عيسى عليه السلام من عند الله مناديًا بوحدانية الله وداعيًا الناس إلى صالح الأعمال، فكيف بالوثنية تشوه تلك الصورة الحلوة لهذه الرسالة العظيمة..؟ إن الأمر يدعونا إلى تتبع تاريخ نزول المسيحية ومعرفة كيفية انتشارها حتى يمكننا أن نتفهم هذا الأمر الغريب.

تحدثنا الكتب السماوية أن السيد المسيح عليه السلام قد بعثه الله إلى قومه بني إسرائيل يدعوهم إلى عبادة الله وحده وإلى ترك ما انغمسوا فيه من شرور وآثام، يقول السيد المسيح «لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة» (متى ص ١٥ : ٢٤) وقد دعا السيد المسيح تلاميذه الاثنى عشر إلى تبشير بني إسرائيل فقط مانعًا إياهم من تبشير الأمم الأخرى، يقول القديس متى في إنجيله «هؤلاء الاثنى عشر أرسلهم يسوع وأوصاهم قائلاً: إلى طريق أمم لا تمضوا وإلى مدينة للسامريين لا تدخلوا، بل بالحرى إلى خراف بيت إسرائيل الضالة» (متى ص ١٠ / ٥ - ٦).

ويتحدث القرآن الكريم عن السيد المسيح فيقول عنه : ﴿وَرَسُولاً إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾(آل عمران: ٤٩).

ورغم ما بذله السيد المسيح - عليه السلام - من جهود في نشر دعوته بين اليهود وما أجراه الله على يديه من معجزات لحملهم على الإيمان به، فإن دعوته لم تجد بين اليهود أرضًا خصبة، ولم يؤمن بها سوى أفراد قلائل، أما معظم الشعب اليهودي فقد أنكروا نبوته ورسالته ونسبوا معجزاته إلى رئيس الشياطين وليس إلى الله (إنجيل متى ٩ / ٣٤) ثم تعدوا ذلك إلى الطعن في نسب السيد المسيح وفي شخصه ورموه وأمه بأقذع الصفات، ثم دبروا مؤامرة لصلبه لولا أن أحبط الله مؤامرتهم.

وقد مضى السيد المسيح إلى ربه غاضبًا على شعبه الذي لم يؤمن برسالته وكان يردد دائمًا «جئت لخاصتي وخاصتي لم تقبلني»، وعند تركه أورشليم هربًا من مطارديه وطالبي نفسه بكى على المدينة قائلاً: «يا أوشليم يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها، كم مرة أردت أن

اجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ولم تريدوا» (متى ص ٢٣ / ٣٧).

وبعد السيد المسيح اضطر تلاميذه وحواريوه من أجل إحياء دعوته إلى نقلها من أرض اليهود إلى الشعوب الوثنية المحيطة بها كالرومان واليونانيين وغيرهم، ورغبة من هؤلاء المبشرين في نشر الدعوة المسيحية بين تلك الشعوب الوثنية، وخوفًا من أن تجد بين هذه الشعوب نفس المصير الذي وجدته بين اليهود، اضطر المبشرون المسيحيون إلى تطعيم المسيحية ببعض الطقوس والعادات والشعائر التي وجدوها في تلك الشعوب الوثنية، وأغلب الظن أن هؤلاء المبشرين كانوا حسني النية فقد رأوا أن هذه هي الطريقة الوحيدة لتقريب الديانة المسيحية إلى أذهان الوثنيين، وظنوا أنه مع مرور الوقت فإن المسيحية ستتطهر من تلك العادات والطقوس وستعود إلى صفائها، ولقد تحول فعلاً إلى المسيحية كثير من الوثنيين ولكنهم نقلوا إليها أيضًا مزيدًا من العادات والشعائر الوثنية، واضطر الحواريون والمبشرون المسيحيون كذلك إلى السكوت وغض الطرف والمجاملة، وذلك لإبقاء هؤلاء على المسيحية وعدم تنفيرهم منها، ولعلهم يستقيمون بعد ذلك على المنهج الصحيح، ولكن الواقع الأليم أن الذي حدث فعلاً هو عكس ما توقعه أولئك المبشرون البسطاء، فلقد تغلبت تلك الطقوس والشعائر الوثنية وطمست جوهر الرسالة السماوية العظيمة التي أتى بها السيد المسيح عليه السلام.

ومن الإخوة المبشرين، القديس بولس الذي ولد في مدينة طرسوس مركز الديانة الميرية الوثنية وتقبل الكثير من عادات ومصطلحات تلك الديانة ليتمكن من إقناع أتباعها بالمسيحية، يقول بولس في سفر كورنثوس الأول «استعبدت نفسي للجميع لكي أربح الأكثرين صرت لليهودي كيهودي لكي أربح اليهودي وللناموسيين كالناموسيين ولغيرهم كأنني بغير ناموس.. صرت لكل شيء

لعلي أستخلص من كل حال قومًا ..».

هكذا يتحدث القديس بولس رسول المسيحية عن نظريته بكل صراحة ووضوح أنه يتغير ويتلون ويتحول مع كل اتجاه، إنه يدعي لليهود أنه يهودي وللوثنيين أنه وثني، وللملحدين أنه ملحد، إنه يمثل لكل جماعة، ولكل فرد ما يتفق مع هواهم ومشيئتهم كل ذلك ليريح الكل للمسيحية، يريحهم اسمًا وليس فعلاً، إنه بدلاً من أن يغيرهم فهو يتغير من أجلهم، بل ويغير التعاليم السماوية في سبيل إرضائهم، وتورد الأناجيل وقائع ومواقف ادعى فيها بولس تارة أنه يهودي وتارة أنه فرسي، وتارة أنه روماني وهكذا ..[1].

وكم ألغى بولس وغيره من المبشرين تعاليم سماوية وأحكامًا إلهية من أجل استمالة الوثنيين وكسبهم أنصارًا للدين الجديد، وذلك كلما اصطدمت تلك التعاليم بأي من عادات وتقاليد الشعوب الوثنية.

تحدثنا الأناجيل أن القديس بولس وأصحابه قد ألغوا الختان المقرر في جميع الشرائع منذ عهد سيدنا إبراهيم عليه السلام. وذلك من أجل خطب ود الوثنيين، ونقرأ في التوراة عن حكم الختان في الأصحاح السابع عشر من سفر التكوين «قال الله لإبراهيم .. هذا هو عهدي الذي تحفظون بيني وبينك وبين نسلك من بعدك، تختن منكم كل ذكر، فتختتون في لحم غرلتكم فيكون علامة عهد بيني وبينكم.. وأما الذكر الأغلف الذي لا يختن في لحم غرلته فتقطع تلك النفس من شعبها.. إنه نكث عهدي».

هذا العهد الإلهي قطعه الله مع إبراهيم، والذي جعل جزاء مخالفته الموت، وذلك بختان كل ذكر من نسل إبراهيم، هذا العهد رعاه كافة الأنبياء بعد إبراهيم على السلام، رعاه إسماعيل وإسحق ويعقوب ويوسف وموسى

(١) انظر رسالة أعمال الرسل أصحاح ٢٢ ، ٢٣ .

وغيرهم، ورعاه السيد المسيح الذي اختتن هو نفسه احترامًا لهذا العهد السماوي، وقد ذكر ذلك في الأصحاح الثاني من إنجيل لوقا (لو ٢ / ٢١) وتقررت صلاة خاصة في ذكرى ختان السيد المسيح، كما اختتن أيضًا جميع التلاميذ والحواريين.

ولكن القديس بولس وأصحابه المبشرين حين سمعوا بتضرر الوثنيين من الختان، ألغوا هذا الحكم الإلهي بكل بساطة، بل أنكروا كون الختان شريعة إلهية، فبعثوا يقولون للوثنيين: «قد سمعنا أنا أناسًا خارجين من عندنا أزعجوكم بأقوال مقلبين أنفسكم وقائلين أن تختتنوا وتحفظوا الناموس الذين نحن لم نأمرهم..» (أعمال الرسل ص ١٥ / ٢٤)، وبهذه البساطة واليسر ألغى بولس وأصحابه الختان المقرر في كافة الشرائع، وخرجوا على الأحكام الإلهية وعلى تعاليم كافة الأنبياء، بل وعلى تعاليم السيد المسيح الذي يبشرون باسمه، كل ذلك من أجل إرضاء الوثنيين، وانضوائهم تحت علم المسيحية.

ولم يقتصر الأمر على بولس أو على حكم الختان، بل تعداه إلى غير بولس وإلى غير الختان، فحتى القديس بطرس، خليفة السيد المسيح، قد اضطر إلى تغيير الكثير من التعاليم المسيحية من أجل وداد الوثنيين، فمثلاً بالنسبة لأكل لحم الخنزير الذي كان وما زال محرمًا أكله عند اليهود، وحين جاء السيد المسيح فإنه لم يلغ هذا الحكم ولم يسمح بأكل لحم الخنزير، ولكن الخنازير كانت من الحيوانات التي يقتنيها الرومان واليونانيون ويأكلون لحومها، مما حمل القديس بطرس على إباحة أكل لحم الخنزير، بل وكافة الهوام والحشرات من أجل استمالة هذه الشعوب الوثنية للدين الجديد[1].

وهكذا بمرور الوقت وتعاقب الأجيال، أخذت الأحكام الإلهية تتغير لتحل

(١) انظر رسالة أعمال الرسل ص ١٠ / ٩- ١٦ .

محلها أحكام أرضية، وأخذت الحقائق تتباعد لتفسح الطريق للأوهام، وأخذت المسيحية بذلك تتباعد شيئًا فشيئًا عن الدين السماوي العظيم الذي أتى به السيد المسيح عيسى عليه السلام من لدن الرحمن، يقول القس بولس إلياس اليسوعي[1] «لقد لقحت الكنيسة الفكر الوثني بالفكر المسيحي فحمل مرسلوها إلى اليونان حكمة التوراة وآداب الإنجيل، وأخذوا منهم وضوح التعبير ودقة التفكير، فنتج عن هذا التلاقح تراث جديد نقلوه إلى روما. ولقد احترمت الكنيسة تقاليد الشعوب وحافظت على تنوع الطقوس في مختلف الطوائف فما فرضت صيغة موحدة لصلاة» ويستطرد القس بولس قائلا« إنه في مفتتح القرن السابع الميلادي كتب البابا غريغوريوس الأول الكبير إلى القديس أوغسطينوس أسقف كنتربرى ببريطانيا يقول:« دع البريطانيين وعادتهم وأبق لهم أعيادهم الوثنية واكتف بتنصير تلك الأعياد والعوائد واضعًا إله المسيحيين موضع آلهة الوثنيين ...»».

هذا ما كتبه بالحرف الواحد أسقف من كبار أساقفة الدين المسيحي، كتبه بكل بساطة دون أن يشعر بوجود أي حرج فيما يقرره، ودون أن يحس بوجود غضاضة أو غرابة في هذا المزج الوثني المسيحي، هذا الخليط بين الوثنية والمسيحية والذي تغلبت فيه طقوس وعادات وأعياد الوثنية باعتراف القس الفاضل فصار لكل شعب ولكل فرقة ولكل طائفة من هؤلاء الوثنيين عاداتهم وطقوسهم وصلاتهم الخاصة بل مثلوا إله المسيحيين بآلهتهم وألبسوا إله السماء أثواب آلهة الأرض فجعلوا الله الواحد ثلاثة آلهة، دون غرابة أو شذوذ في ذلك عند أصحاب القداسة والطهارة الأحبار والكهان، ويتحسس المرء ملامح رسالة السماء بين هذا الخليط من طقوس البشر فلا يعثر لها على أثر.

---

(١) كتاب يسوع المسيح ص ١٩٩ .

وحين دخلت المسيحية مصر كان بها معبد قيصرون الوثني الذي شيدته الملكة كليوباترا وكان يوجد بهذا المعبد صنم كبير من النحاس يسمى عطارد، وكان يحتفل سنويًا بعيد هذا الصنم وتقدم له الذبائح، وظلت هذه التقاليد معمولاً بها بعد دخول المسيحية ولمدة تزيد على ثلاثمائة عام، فلما نصب الأسقف إسكندر بطريركًا فكر في إزالة هذا الصنم ولكن شعب الأسكندرية ثار في وجهه قائلاً: لقد اعتدنا إحياء هذا الصنم ولقد تربع على هذا الكرسي اثنا عشر بطريركًا قبلك، ولم يجرؤ أحد منهم أن يصرفنا عن هذه العادة.

هكذا تطعمت المسيحية بالوثنية، الوثنية التي كان يدين بها وقتئذ معظم البشر من الرومان واليونانيين والمصريين والفرس والهنود وغيرهم والتي كان يدين بها معظم عرب الجاهلية رغم وجود اليهودية والمسيحية، ولقد كان الموقف المتهاون الذي وقفته المسيحية ومبشروها إزاء الوثنية وعاداتها هو السبب في تغلب الوثنية على المسيحية وتطويعها لمشيئتها ورغبتها، ذلك أن الوثنية قريبة لغرائز البشر، متلائمة مع أحاسيسهم وشهواتهم الحسية والبهيمية، فقد ارتد إليها قوم موسى عند غيابه وقالو لهارون أخيه بعد أن شاهدوا الشعوب الوثنية تعبد الأصنام ﴿اجْعَل لَّنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ (الأعراف: ١٣٨) ثم صنعوا لهم عجلاً مسبوكًا له خوار عبدوه بدلاً من إله السماء، ولولا عودة موسى ووقفته وقفة صارمة ضد هذا الشرود والكفر لما عاد القوم إلى عبادة الله الواحد.

وإذا ما حاولنا أن نعقد مقارنة بين موقف المسيحية من الوثنية وموقف الإسلام منها، وجدنا فارقًا كبيرًا بين الموقفين فارقًا جعل هناك حدًا فاصلاً بين الحق والباطل وبين الحقيقة والأوهام، بين رسالات السماء وترهات الأرض.

لقد دخل الإسلام إلى شبه الجزيرة العربية حيث كان أغلب سكانها يدينون بالوثنية وحاولت الوثنية أن تتسرب إلى الإسلام عن طريق مهادنته، فعرض عبدة الأوثان على الرسول ﷺ أن يعبدوا إلهه فترة، وأن يعبد آلهتهم أخرى، ولكم من أسباب كانت تدعو إلى قبول هذا العرض ولو مؤقتًا خاصة مع قوم يعملون جاهدين على وأد الدين الوليد، وفي وقت لم تكتمل فيه لهذا الدين أسباب القوة والمنعة، ولكن الرسول رفض العرض بشدة ودون أدنى مساومة أو تردد، ونزل عليه الوحي مخاطبًا الوثنيين ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ۝١ لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝٣ وَلا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾.

وبعد أن بدأ نور الإسلام يسطع في أرجاء شبه الجزيرة العربية ورغبة قبيلة ثقيف في اعتناقه بعثت، وفدًا منها إلى النبي ﷺ تعرض عليه إسلامها شريطة أن يوافق على أن يدع لهم صنمهم اللات ثلاث سنين لا يهدمها، وأن يعفيهم من الصلاة، فأبى محمد عليه الصلاة والسلام، فنزلوا يطلبون أن يدع لهم إلههم سنتين أو سنة أو حتى شهرًا واحدًا ريثما يتشرب القوم شرائع وعادات الدين الجديد، ولكن إباء الرسول ﷺ كان حاسمًا وتصميمه كان جازمًا فانصاع الباطل لصلابة الحق، ونزلت قبيلة ثقيف على كافة أحكام الإسلام وتم هدم إلهها المصنوع في الحال.

وعندما دخل الإسلام فارس بقي التوحيد توحيداً وبقيت المجوسية مجوسية، فمن شاء البقاء على وثنيته بقي آمنًا ومن شاء دخل في الإسلام فأحل حلاله وحرم حرامه، ونزل على كافة أحكامه.

إن الإنسان إما أن يؤمن وإما ألا يؤمن، وليس بين ذلك إلا الارتياب والشك، والشك مرحلة مؤقتة نهايتها حتمًا إلى الإيمان أو الكفر، فليس

بعد الإيمان شك وليس بعد الكفر شك، والإيمان والكفر لا يجتمعان في قلب واحد.

إن الخلاف الأساسي بين الإسلام والمسيحية بل بين المسيحية وكافة الرسالات السماوية هو في هذه الصورة المشوهة عن الله التي ألصقتها الوثنية بالمسيحية، بقصد هزيمتها والقضاء عليها، وكم يتمنى المؤمنون بالله مسيحيون ومسلمون أن تتطهر المسيحية مما علق بها من أدران الأرض وترهات البشر، وأن تعود إلى حظيرة الوحدانية الخالصة فيصبح الإسلام والمسيحية دينًا واحدًا إلههم واحد ومعبودهم واحد وطريقهم واحد، يقول القرآن الكريم:

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾

(آل عمران: ٦٤).

* * *

الفصل السابع

حقيقـة الثـالـوث

قلنا إن فلاسفة المسيحية يعتقدون أن الله الواحد مكون من ثلاثة أقانيم أو ثلاثة عناصر، وهذه العناصر الثلاثة هي الذات والنطق والحياة، والذات هي الله الآب، والنطق هو الله الابن، والحياة هي الله الروح القدس.

وإذا ما حاولنا أن نتعرف على حقيقة أفراد هذا الثالوث، وأن نعرف سبب التسمية التي أطلقت على كل عضو من أعضائه وما هي طبيعة عناصر ذلك الثالوث ..؟ .. من هو الآب ولماذا سمي أبًا؟ ومن هو الابن ولماذا سمي كذلك..؟ ومن هو الروح القدس ولماذا دعي .. هكذا..؟

إذا ما حاولنا أن نعرف ذلك، فعلينا أن نتفحص الكتب الدينية وخاصة تلك التي يدعي أصحاب الثالوث أنهم استمدوا ثالوثهم منها وهي الأناجيل الأربعة ورسائل الحواريين ثم التوراة بجميع أسفارها وذلك علنا نعثر على إجابة شافية على تساؤلاتنا.

وسنبدأ بمحاولة التعرف على حقيقة الآب، ثم نحاول بعد ذلك التعرف على حقيقة الابن ثم الروح القدس.



حقيقة الآب

الله الآب هو الأقنوم الأول في الثالوث المسيحي، وقد سمي أبًا لأن له في اعتقاد فلاسفة المسيحية ابنًا، فمن أجل وجود هذا الابن سمي الله أبًا. وهذا الابن من أجله دعي الله أبًا هو السيد المسيح عيسى عليه السلام، فهو في اعتقاد فلاسفة المسيحية ابن الله، وبما أنه مولود من الله فهو إله مثل الله، وقد سمي الوالد أبًا والمولود ابنًا.

وقد يكون لأصحاب الثالوث بعض العذر في الاعتقاد بأن السيد المسيح ابن الله فقد أطلقت الأناجيل على السيد المسيح لفظ ابن الله مرات عديدة، فبجانب أن السيد المسيح كان يلقب بابن داود نظرًا لكونه من نسل داود النبي، وبجانب كونه عليه السلام كان يدعو نفسه دائمًا ابن الإنسان تأكيدًا بل وافتخارًا بطبيعته الإنسانية، فإن الأناجيل كانت تطلق عليه أيضًا لفظ ابن الله.

والحقيقة أن لفظ ابن الله الذي كان يطلق في بعض الأحيان على السيد المسيح لم يكن يقصد به على الإطلاق وجود علاقة نسب خاصة بين الله وبين السيد المسيح، كما لم يكن يقصد به ولادة السيد المسيح أو تناسله من الله أو انفراده وحده ببنوة الله، وإنما قصد بها فقط إبراز قرب السيد المسيح عليه السلام من الله، يشترك في هذا القرب الإلهي مع السيد المسيح كافة أنبياء الله وخلصاؤه وباقي عباده الصالحين.

ومن يطالع التوراة والأناجيل ورسائل الرسل الحواريين يجد أن لفظ ابن الله أو صفة البنوة لله لم ينفرد بها السيد المسيح، بل لقد شاركه فيها كافة الأنبياء والملائكة وجميع المؤمنين، وأن هذا اللفظ «ابن الله» لم يقصد به

إطلاقًا المعنى الحرفي له، وإنما قد أطلق كثيرًا وكثر استعماله بالمعنى المجازي ولم يكن يراد به سوى المقربين لله والمؤمنين به.

وإذا ما حاولنا أن نعرف بعضًا من الأنبياء الذين أطلق عليهم لفظ «ابن الله» فشاركوا بذلك نبي الله عيسى عليه السلام في بنوته لله نجد أن آدم ويعقوب وداود وسليمان وغيرهم قد دعوا أبناء الله، بل لقد أطلق على بعضهم لفظ ابن الله الوحيد إمعانًا في قربه من الله وحدب الله الآب عليه.

يذكر القديس لوقا في الأصحاح الثالث من إنجيله أن «آدم ابن الله» (لو ص ٣ / ٣٨).

أما يعقوب عليه السلام الذي كان يلقب بإسرائيل فقد أطلق عليه أيضًا لفظ ابن الله، تقول التوراة: «هكذا يقول الرب: إسرائيل ابني البكر».

كما دعي داود أيضًا ابن الله، داود الذي من سلالته ولد السيد المسيح والذي كان يحلو له دائمًا أن يلقب نفسه بابن داود، يقول الله عن داود في المزمور التاسع والثمانين «هو يدعوني أبًا وأنا أجعله ابني»، وفي الأصحاح السابع عشر من سفر صموئيل الثاني يقول الله عن داود أيضًا (أنا أكون له أبًا وهو يكون لي ابنًا) (٢ صمو ص ١٧ / ٢٤).

ويترنم داود عليه السلام فرحًا ببنوته لله فيقول (إني أخبر من جهة قضاء الرب، قال لي أنت ابني أنا اليوم ولدتك، اسألني فأعطيك الأمم ميراثًا لك وأقاصي الأرض ملكًا لك) (مز ٢ / ٦).

فهل صحيح أن داود مثلاً ابن تناسلي لله وأن الله قد ولده في اليوم الذي يتحدث عنه، أم هو قربه من الله هو الذي جعل الله يدعوه ابنًا.

وسليمان عليه السلام دعي أيضًا ابن الله، فقد ورد في أخبار الأيام الأولى قول الله عن سليمان (هو يكون لي ابنًا، وأنا له أبًا) (ص ٢٢ / ١٠).

وكما أطلق لفظ ابن الله على الأنبياء أطلق أيضًا على الملائكة فقد ورد في الأصحاح العشرين من إنجيل لوقا قوله (لأنهم مثل الملائكة وهم أبناء الله).

فالملائكة هنا دعوا أبناء لله، الملائكة الذين جعلهم القديس بولس أعلى قدرًا من السيد المسيح، يقول بولس في رسالته إلى العبرانيين عن السيد المسيح أنه (الذي وضع قليلاً عن الملائكة (يسوع) نراه مكللاً بالمجد والكرامة) (ص ٢ / ٩) فبولس هنا يصرح أن السيد المسيح (ابن الله) أقل مكانة عند الله من الملائكة.

وكما دعي الأنبياء أبناء الله، ودعي الملائكة أبناء الله دعي البشر العاديون أيضًا أبناء الله، يقول الأصحاح الرابع عشر من سفر التثنية للشعب (أنتم أولاد للرب إلهكم) (تك ص ١٤ / ١).

وقد أطلقت التوراة على المؤمنين بالله من أتباع نوح عليه السلام أنهم أبناء الله، يقول سفر التكوين (وحدث لما ابتدأ الناس يكثرون على الأرض وولد لهم بنات أن أبناء الله رأوا بنات الناس أنهن حسنات فاتخذوا لأنفسهم نساء من كل من اختاروا) (تك ٦ / ١ - ٣).

والله الآب هو آب الكل، آب الأنبياء، وآب الملائكة، وآب المؤمنين، يصفه داود عليه السلام بقوله (أبو اليتامى وقاضي الأرامل الله في موضع قدسه) (مز ٦٨ / ٥)، ويستطرد داود في ذكر مراحم الله الآب وعطفه على بنيه فيقول (كما يتراءف الآب على البنين يتراءف الرب على خائفيه) (مز ١٠٣ / ١٣).

ويقول أشعياء النبي مخاطبًا الآب (فإنك أنت أبونا وإبراهيم لم يعرفنا وإسرائيل (يعقوب) جهلنا، أنت يا رب أبونا مخلصنا، من الدهر اسمك) (أش ص ٦٣ : ١٦). هكذا يناجي أشعياء الله أباه وأبانا كلنا، إنه يقول إن آباءنا الأرضيين قد نسونا، إبراهيم ويعقوب لم يعرفانا ولكنك يا ربي لا تنسانا لأنك

أبونا ومخلصنا، ثم يستطرد أشعياء مناجيًا الله بقوله (يا رب نحن الطين وأنت جابلنا وكلنا عمل يديك) (أش ص ٦٤ / ٨).

أما موسى عليه السلام فيتحدث عن الله الآب بقوله (أليس هو أباك ومقتنيك، هو عملك وأنشأك) (تث ص ٣٢ / ٦).

ويقول ملاخي النبي (أليس أب واحد لكلنا .. أليس إله واحد خلقنا ..؟) ملا ص ٢ / ١٠).

ثم يتحدث الله الآب عن أبنائه البشر بقوله (ربيت بنين ونشأتهم) (أش ١ / ٢).

وقد كان السيد المسيح عيسى عليه السلام حريصًا دائمًا على أن يؤكد للناس أن صلتهم بالله هي صلة الحب والحنان، صلة الآب الرحيم ببنيه الطائعين، بل لقد وصل عليه السلام في ذلك أن دعى الناس إلى عدم الاعتماد على آبائهم الأرضيين جاعلين كل اعتمادهم على أبيهم السماوي، يقول السيد المسيح في إنجيل متى (لا تدعو لكم أبًا على الأرض لأن أباكم واحد، الذي في السموات) (متى ص ٢٣ / ٩). هكذا يعلن المسيح عيسى لأتباعه المؤمنين أنه لا اعتماد ولا اتكال على آباء الأرض العاجزين، ولكن توجه وترقب لبركات الآب السماوي القادر على كل شيء.

وكان السيد المسيح يدعو الناس أن يتوجهوا بصلاتهم إلى أبيهم السماوي قائلاً لهم (فصلوا أنتم هكذا: أبانا الذي في السموات ليتقدس اسمك ليأت ملكوتك..) (متى ص ٦). هذه الصلاة الربانية أصبحت فاتحة الصلاة عند الإخوة المسيحيين يتوجهون بها إلى الله في مفتتح صلاتهم كل يوم.

هذه هي الصلة الحقيقية بين الله والناس صلة الآب ببنيه، لا عبودية، ولا

استرقاق ولا مذلة بل حب وعطف وأبوة، يقول القديس بولس في رسالته إلى أهل رومية (كل الذين ينقادون بروح الله فأولئك هم أبناء الله، إذ لم تأخذوا روح العبودية أيضًا للخوف، بل أخذتم روح التبني) (رو ص ٨ / ١٤ - ١٥).

هذه البنوة لله لا ينفرد بها أحد وليست مقصورة على شخص بعينه، فبنوة الله ليست بالنسب والتناسل، ولا باللحم والعروق، وإنما هي بنوة روحية مجازية يحصل عليها كل مؤمن بالله عامل بوصاياه، يقول السيد المسيح لبني إسرائيل موضحًا لهم هذه الحقيقة (إنما بنوة الله بالأعمال وأنتم بأعمالكم أبناء إبليس) (إنجيل يوحنا ص ٨ / ٤٢)، ويشرح هذا المعنى الأصحاح الثالث من رسالة يوحنا الأولى بقوله «كل من هو مولود من الله لا يفعل الخطيئة لأن زرعه يثبت فيه ولا يستطيع أن يخطئ لأنه مولود من الله، بهذا أولاد الله ظاهرون وأولاد إبليس» (ص ٢ / ٩ ، ١٠).

هكذا يتحدد المولودون من الله ويتحدد المولودون من الشيطان، كل من يفعل الخير فهو مولود من الله، وكل من يفعل الإثم فهو مولود من الشيطان، من أجل ذلك فإن «كل من يحب فقد ولد من الله». (رسالة يوحنا الأولى ص ٤ / ٧).

وصانعو السلام أبناء الله «طوبى لصانعي السلام لأنهم أبناء الله» (إنجيل متى ص ٥)، ويمكننا جميعًا أن «نعرف أننا نحن أولاد الله إذا أحببنا الله وحفظنا وصاياه» (رسالة يوحنا الأولى ص ٥ / ٢).

ويقول القديس بولس في رسالة أعمال الرسل «لأننا أيضًا ذريته» (أعمال الرسل ١٧ / ١٨)، وفي رسالة بولس إلى أهل فيلبس يقول: «افعلوا كل شيء بلا دمدمة ولا مجادلة لكي تكونوا بلا لوم وبسطاء أولاد الله» (ص ٢ / ٤ ، ١٥) وفي رسالته إلى أهل غلاطية يعلن لهم بولس «أنتم جميعًا أبناء الله» (غلا ص ٣ / ٢٦).

ويدعو السيد المسيح عليه السلام المؤمنين إلى الفيلة والخير «لتكونوا أبناء الله»، «لتكونوا أبناء أبيكم الذي في السموات». (إنجيل متى ص ٥).

ومن يتفحص الأناجيل يجد أن السيد المسيح كان يلقب الله دائمًا بأنه آب المؤمنين فكان يخاطب المؤمنين ويتحدث إليهم عن الله بقوله «أبوكم السماوي.. إليكم ... أباكم الذي في السموات ... إلخ».

ثم يوضح السيد المسيح أخيرًا أن بنوته لله لا تفترق في شيء عن بنوة أخوته من البشر لأبيهم السماوي وأن الله سبحانه وتعالى إله الجميع وآب الجميع، يقول عليه السلام قبل رفعه إلى السماء «إني أصعد إلى أبي وأبيكم، وإلهي وإلهكم» (يوحنا ص ٢٠ / ١) ويشرح ذلك القديس بولس بقوله «إله وآب واحد للكل على الكل وبالكل» (أف ٤ / ٦).

هل بعد هذا تصريح، وهل فوق هذا توضيح؟ حقًا ما أجمل هذا القول، إن الله أبونا جميعًا كما أنه إلهنا جميعًا، أبونا وأبو المسيح وإلهنا وإله المسيح، ونحن جميعًا أنبياء ومؤمنين أبناء المسيح يضمنا بحنانه أبونا وإلهنا.

هذه الأبوة الروحية التي يشمل لها الله أبناءه الصالحين أشار إليها أيضًا القرآن محولاً أنظار البشر عن الافتخار بآبائهم الأرضين إلى الافتخار بالله الواحد آب الجميع وإله الجميع، يقول الذكر الحكيم ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ (سورة البقرة ٢٠٠).

وفي حديث قدسي يقول الله سبحانه «الفقراء عيالي»، فالفقراء هم أبناء الله وعياله يرعاهم ويعولهم، يقول إمام المرسلين ﷺ «الخلق عيال الله، واحبهم إليه انفعهم لعياله».

ونظرًا لهذه الصلة الروحية بين الله وبين كافة أبنائه المؤمنين اعتبر القرآن

أبناء الله المؤمنين به من كافة شعوب الأرض أخوة فيما بينهم، يقول جل وعلا: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ (الحجرات: ١٠).

هذه الأخوة في الله التي تجمع أبناء الله على المحبة والتعاطف كأبناء الأسرة الواحدة، والتي أحلت الصفاء بينهم محل الجفاء وأزالت من القلوب العداوة والكراهية وأحلت محلها المحبة والسلام، يقول تبارك وتعالى: ﴿ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾ (آل عمران: ١٠٣).

هذه الأبوة الإلهية للمؤمنين الإخوة سار عليها دومًا ونفذها عملاً خاتم المرسلين محمد عليه الصلاة والسلام فآخى بين المهاجرين والأنصار وجعل لكل أخ روحي على أخيه في الله حق الإرث والمعونة والنصرة، وكافة الحقوق التي ترجحه على أخوة الدم والنسب.

ذات يوم ورسول الله يسير مع أصحابه شاهد أما تضم طفلها الصغير في حنان وشغف فنظر إلى أصحابه متسائلاً: **اترون هذه الأم طارحة ولدها في النار؟** فأجابوا: أبدًا يا رسول الله. فعقب النبي قائلاً: **والذي نفس محمد بيده الله أرحم بعبده المؤمن، من هذه بولدها».**

هذا هو الله الآب، إله واحد لنا جميعًا، وآب واحد لنا جميعًا، لا يتفرد بأبوته أحد، ولا يحتكر محبته أحد، بل إنه سبحانه وتعالى يشمل بأبوته الحانية كافة المؤمنين العاملين بوصاياه، ويوزع عطفه ورحمته على كافة أبنائه البررة، يستوي في ذلك الأنبياء والكهنة والملائكة والبشر، لا يختص بأبوته عيسى أو محمد أو موسى أو إبراهيم، وإنما نحن جميعًا أبناء الله ومحبوه من كافة الشعوب والأجناس والألوان، وهو سبحانه وحده إلهنا كلنا وأبونا كلنا يضمنا جميعًا في رحاب رحمته ومحبته، ويسبغ علينا جميعًا عميم بركاته وجزيل عطفه.

حقيقة الابن

عرفنا أن أصحاب الثالوث يعتقدون أن الله الابن هو كلمة الله، فهو الكلمة التي خرجت من الذات فصارت الكلمة ابنًا للذات، وصارت الذات أبًا للكلمة، وصار كل من الذات والكلمة أقنومًا قائمًا بذاته يدعى الأول الله الآب ويدعى الثاني الله الابن، يقول يوحنا الحواري في إنجيله «في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة الله» (يو ص ١ / ١)، ويستطرد القديس يوحنا قائلاً «والكلمة صار جسدًا وحل بيننا ورأينا مجده كما لوحيد من الآب مملوءًا نعمة وحقًا ...».

والقديس يوحنا يقرر هنا أن الله الكلمة وهو الله الابن كان منذ بداية الخليقة عند الله الآب، وأن الله الكلمة تجسد وحل بين البشر على الأرض، وأن الله الكلمة هو الابن الوحيد لله الآب، وهذا الإله الكلمة الذي يتحدث عنه القديس يوحنا هو السيد المسيح عيسى عليه السلام، فهو في نظر فلاسفة المسيحية ابن الله الوحيد وهو الإله الكلمة الذي اتخذ جسده وحل بين البشر.

ويتفق القرآن الكريم مع الأخوة المسيحيين في أن السيد المسيح هو كلمة الله، يقول سبحانه في قرآنه: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ (آل عمران: ٤٥).

حقًا إن السيد المسيح هو كلمة الله، فقد خلق عليه السلام بكلمة من الله، ولكن ما هي الصلة بين الله وكلمته؟ ما هي العلاقة بين المتكلم وكلمته..؟ هل الكلمة هي ذات المتكلم.. أم أنها شيء والمتكلم شيء آخر ..؟

يقول القمص إبراهيم في كتابه رسالة التثليث : «إنه لا فرق بين الله وكلمته كما أنه لا فرق بين الإنسان وكلمته..» وهذا الذي يقوله القمص إبراهيم قول عجيب . . كيف تكون الكلمة هي ذات المتكلم؟ وكيف تكون الكلمة من نفس جنس المتكلم؟

إن الكلمة إذا كانت تعبيرًا عن فكر المتكلم أو بيانًا لمقاصده وأغراضه، فإنها شيء والمتكلم شيء آخر، إنها كيان منفصل عن المتكلم، وشتان بين المتكلم والكلمة أو الكلمات التي تصدر منه، إن الكلمة قوة تصدر من المتكلم لتنفيذ شتى أغراضه وهي عمل متخلق من إرادة المتكلم يستدعيها فتستجيب له، ولكنها ليست بأي حال ذاتًا حالة به أو كيانًا مرتبطًا بكيانه.

وكم من كلمات تقال، في مختلف الظروف والأحوال، بعضها يعبر عن القسوة وبعضها عن الحنان، بعضها عن الرضى وبعضها عن الغضب، بعضها عن الحزن وبعضها عن الفرح، بعضها للهدم وبعضها للبناء، والمتكلم في كل هذه الظروف والأحوال واحد، فمن يا ترى يكون المتكلم بين كل هذه الكلمات؟ إن القول بأن الكلمة هي ذات المتكلم وبأن الله هو الكلمة قول غريب حقًا.

وإذا سايرنا منطق أصحاب الثالوث في قولهم بأن السيد المسيح كلمة الله هو الله، فهل السيد المسيح هو الكلمة الوحيدة لله؟ ألم ينطق الله بكلمة أو كلمات أخرى قبل وجود السيد المسيح؟ وهل توقف الله عن النطق والكلام بعد خلق السيد المسيح..؟ ألم يخلق آدم قبل المسيح بكلمة منه أيضًا كما خلق المسيح..؟ ألم يخلق السموات والأرض والكون بكل ما فيه بكلمة منه كذلك ..؟ أليس لله كلمات لا تحصى ولا تنفد؟ أم أنه سبحانه نطق كلمة واحدة ثم حرم النطق بعد ذلك ..؟ يا له من منطق عجيب!!

إن السيد المسيح هو حقاً كلمة الله ولكنه ليس الكلمة الوحيدة لله، والسيد المسيح هو حقًا ابن الله ولكنه ليس الابن الوحيد لله، والكلمة والابن كلاهما ليسا بحال من الأحوال هما الله ولكنهما من مخلوقات الله.

لقد دعي السيد المسيح كلمة الله لأنه خلق بكلمة من الله، وهذه الكلمة هي لفظ الكينونة الذي ألقاه إلى والدته مريم العذراء فخلق به السيد المسيح، وكما خلق السيد المسيح عيسى بكلمة الله «كن» خلق قبله آدم أيضًا بكلمة الله «كن»، يقول القرآن الكريم: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ (آل عمران: ٥٩).

وكما خلق السيد المسيح عيسى عليه السلام بكلمة من الله وخلق آدم عليه السلام بكلمة من الله، خلق الكون والبشر بكلمة من الله، وخلق كل شيء في الوجود بكلمة من الله، وما زال الله سبحانه يخلق ما يشاء بكلماته التي لا تنفد، ويقول القرآن الكريم: ﴿كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ (آل عمران : ٤٧).

نعم إن الله يخلق ما يشاء بكلمته، ويدبر الوجود بأمره ومشيئته، فبمحض كلمة من الله تنشأ المخلوقات، ويسير الكون.

وكم من كلمات صدرت من الله وكم من كلمات تصدر، وكم من كلمات في طريقها إلى الصدور، والله في كل هذا لا يتغير ولا يصدر منه شيء، ولا ينقص منه شيء، ولا ينفصل منه جزء أو عنصر، ليس من حق إحدى هذه الكلمات أن تدعى أنها جزء أو أقنوم أو عنصر من الله، أو أنها الابن الوحيد لله أو أنها هي الله ذاته.

إن الخلط بين الله وكلماته التي لا تعد وألفاظه التي لا تنفد إنما هو خلط بين الخالق والمخلوق وتخبط بين الصانع والمصنوع، والسيد المسيح ابن الإنسان

لم يدع قط أنه ابن تناسلي لله، أو أنه من جنس أو طبيعة الله، بل كان يفخر دائمًا ببشريته وإنسانيته.

يقول عليه السلام عن نفسه في إنجيل يوحنا «وأنا إنسان قد كلمكم بالحق الذي سمعه من الله» (يو ص ٨ / ٤٠)، ويتحدث في نفس الإنجيل موضحًا أنه نبي مرسل من الله فيقول: «إنني خرجت من قبل الله وأتيت إليكم، إنني لم آت من نفسي بل هو أرسلني..» وحين تآمر عليه كهنة اليهود يريدون قتله وأراد أن يترك أورشليم فارًا بنفسه قال: «إنه ينبغي أن يسير أورشليم لأنه لا يمكن أن يهلك نبي خارج أورشليم» ثم دعا على المدينة الظالمة بقوله : «يا أورشليم يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين» (إنجيل لوقا).

هكذا يوضح السيد المسيح طبيعته للناس، ما هو إلا إنسان أتى برسالة من عند الله، ليست الرسالة من عنده ولكن الله أرسله بها، أما هو فليس إلا نبيًا مرسلاً من قبل الله يريد أهالي أورشليم أن يقتلوه، فيترك المدينة ويسير خارجها حيث الأمان فخارج أورشليم لا يهلك الأنبياء.

أما تلاميذ المسيح وحواريوه فإنهم لم يعرفوه إلا على أنه بشر مرسل من الله يقول عنه متى الحواري في إنجيله : «هو يسوع النبي الذي من ناصرة الجليل..» (متى ص ٢١ / ١١).

ويقول عنه يوحنا الحواري : «إن هذا هو بالحقيقة النبي الآتي إلى العالم» (يو ص ٦ / ١٤).

أما القسيس لوقا فيتحدث عن السيد المسيح قائلاً: «أيها الرجال اسمعوا هذه الأقوال يسوع الناصري رجل قد تبرهن من قبل الله بقوات وعجائب صنعها الله بيده في وسطكم كما أنتم تعلمون».

ويدعوه بولس بقوله «الإنسان يسوع المسيح».

ثم يتحدث القديس برنابا في مقدمة إنجيله عن المسيح الرسول الإنسان فيقول: «أيها الأعزاء، إن الله العظيم العجيب قد افتقدنا في هذه الأيام الأخيرة بنبيه يسوع المسيح برحمة عظيمة للتعليم والآيات التي اتخذها الشيطان ذريعة لتضليل كثيرين بدعوى التقوى، مبشرين بتعليم شديد الكفر داعين المسيح ابن الله».

أما الشعب اليهودي الذي عاش السيد المسيح في وسطه فلم يكن يرى فيه سوى إنسان نبي من قبل الله، يحدثنا القديس متى في إنجيله أن كهنة اليهود حين تآمروا على قتل المسيح وهموا بالقبض عليه خافوا من جموع الشعب الذين كانوا يقدرونه ويجلونه كنبي مرسل من الله، يقول متى: «وإذا كانوا يطلبون أن يمسكوه خافوا من الجموع، لأنه كان عندهم مثل نبي» (متى ص ٢١ / ٤٦) وحين قابلت المرأة السامرية السيد المسيح عليه السلام لم تقل له إنك إله أو ابن إله ولكنها قالت له : «أرى أنك نبي....».

هذا هو السيد المسيح عيسى يتحدث عن نفسه فيعلن أنه إنسان مرسل من الله، ويتحدث عنه تلاميذه والمقربون منه بما رأوه وعرفوه عنه فيقولون إنه نبي، وتنظر إليه جموع الشعب أيضًا على أنه نبي، تمامًا مثل باقي أخوته الأنبياء الذين سبقوه، تمامًا كباقي أبناء الله وكلماته، ولم يقل أحد إنه أكثر من بشر، أو أكثر من رسول من عند الله.

يقول الفيلسوف تولستوي: «إنه ينبغي لفهم تعاليم يسوع المسيح الحقيقي كما كان يفهمها هو أن نبحث في تلك التفاسير والشروح الطويلة الكاذبة التي شوهت وجه التعليم المسيحي حتى أخفته عن الإبصار تحت طبقة كثيفة من الظلام. إن أولئك الشراح والمفسرين يدعون يسوع إلهًا دون أن يقيموا على

ذلك الحجة ويستندون على أقوال لا تدل أقل دلالة على أن المسيح هو الله أو ابن الله».

ويورد القرآن الكريم قول السيد المسيح لربه نافيًا عن نفسه أكاذيب الشراح وترهات المفسرين مبرئًا ساحته من بدع المثلثين والمشبهين، يقول المسيح عيسى لربه: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ (المائدة: ١١٧).

وإذا نظرنا إلى المعجزات الحسية التي صنعها السيد المسيح في حياته، والتي دعت البعض إلى القول بألوهيته أو بنوته لله، ناسبين تلك المعجزات إلى السيد المسيح ذاته وليس إلى ربه الذي أرسله، هذه المعجزات الحسية التي أجراها الله على يدي السيد المسيح من شفاء المرضى وإحياء الموتى وذلك لكي تكون دليلاً على نبوته ورسالته، هذه المعجزات المتعددة يصرح المسيح نفسه وتصرح الأناجيل أن السيد المسيح لم يكن سوى الأداة التي حركها الله لإظهار هذه المعجزات وأن الأمر كله في النهاية مرجعه إلى الله سبحانه وتعالى.

يتحدث إنجيل متى عن إحدى تلك المعجزات فيقول إن السيد المسيح «قال للمفلوج قم احمل فراشك واذهب إلى بيتك فقام ومضى إلى بيته فلما رأى الجموع تعجبوا ومجدوا الله الذي أعطى الناس سلطانًا مثل هذا» (متى ص ٩ / ٦ - ٨).

هنا نرى السيد المسيح يقوم بشفاء رجل مقعد منذ ولادته فتفرح جماهير الشعب ويمجدوا الله الذي أعطى المسيح الإنسان القدرة على شفاء الأمراض، فجماهير الشعب لم تمجد المسيح ذاته ولم تقدسه أو تؤلهه لشفائه الرجل المقعد من مرضه وإنما عرفت الجماهير الحقيقة وردت السلطان إلى أصله ومنشأه فمجدت الله صاحب المعجزات ومجريها على أيدي البشر.

ويذكر القديس لوقا نفس الحقيقة فيقرر لليهود في مقدمة إنجيله أن «يسوع المسيح رجل قد تبرهن لكم من قبل الله بقوات وعجائب صنعها الله بيده في وسطكم كما أنتم تعلمون». فلوقا يقرر هنا أيضًا أن هذه المعجزات والعجائب التي يقوم بها المسيح الإنسان إنما هي من صنع الله، ويضيف لوقا أن هذه الحقيقة يعلمها الشعب اليهودي كله.

أما القديس يوحنا فإنه يقرر في صراحة أن المسيح الإنسان لا يستطيع أن يفعل من ذاته شيئًا فهو بدون تأييد الله وتعضيده مجرد مخلوق ضعيف لا يملك لنفسه أو لغيره نفعا ولا ضرًا، وإنما كافة الآيات والمعجزات من عند الله، يقول يوحنا: «ليس يقدر الابن أن يفعل من ذاته شيئًا» (يو ص ٥ / ١٩).

ويحدثنا القديس لوقا في إنجيله أن السيد المسيح حين كان يقوم بشفاء الأمراض أو صنع المعجزات فإنه لم يكن ينسبها إلى نفسه وإنما كان يردها دائمًا إلى «إصبع الله» (لو ص ١١ / ٢٠) ويضيف القديس يوحنا في إنجيله أن السيد المسيح كان يظل يبتهل ويتوسل إلى الله خالقه كلما هم بشفاء مريض أو بالقيام بمعجزة ما، وذلك حتى يتحنن الله عليه ويجري المعجزات على يديه وكان يخاطب ربه مناجيًا «وأنا أعلم أنك حين تستجيب لي».

يحدثنا القرآن الكريم عن معجزات السيد المسيح فيورد قوله عليه السلام لقومه بني إسرائيل: ﴿أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران: ٤٩).

هذه المعجزات والآيات التي أجراها الله على أيدي السيد المسيح حتى يؤمن الناس أنه رسول من عند الله ويصدقوا الرسالة التي أتى بها، ويعبدوا الله الذي أرسله، هذه العجزات التي ذكرها القرآن وأشاد بها جميعًا، حتى ما فات الإنجيل ذكره منها كخلق الطير من الطين، وكالإخبار بالغيب، هذه المعجزات لم يقصرها الله على رسوله عيسى، بل لقد أجرى على أيدي باقي رسله المكرمين معجزات حسية كثيرة بعضها يماثل معجزات السيد المسيح وبعضها الآخر يفوق معجزات السيد المسيح، فكم من أنبياء أبرأوا مرضى وأحيوا موتى، وكم من أنبياء صعدوا إلى السماء، وكم من أنبياء فرقوا البحر وبعثوا الحياة في الجوامد وأمروا الشمس والقمر بالكف عن الدوران، كل ذلك بإذن الله وإرادته.

تحدثنا التوراة أن إيليا والشيع أحييا أموات وصعدا إلى السماء أحياء، أما النبي حزقيال فقد أحيا آلاف الموتى كما تقرر التوراة وذلك في مرة واحدة وبعثهم من قبورهم، أما الأناجيل فتنسب إلى القديسين بطرس وبولس أنهم قاما أيضًا بإحياء الموتى وشفاء المرضى، وتقرر الكتب السماوية كافة أن إبراهيم عليه السلام وضع في النار فلم يتأثر مطلقًا، وأن موسى عليه السلام حول العصا الخشبية الجامدة إلى حية ذات روح وفلق البحر وفجر المياه من الصخرة، وأن محمدًا ﷺ أعجز البلغاء وحير العلماء بما حباه الله من آيات، وغير هؤلاء من الأنبياء ذوي المعجزات كثيرون... فهل كل هؤلاء آلهة أو أبناء تناسليون لله يشاركونه سلطانه وعظمته؟ أم أن الأمر كله لله وهؤلاء جميعًا موسى واليسع وإبراهيم ومحمد وغيرهم رسل الله وعباده المقربون وأبناؤه المخلصون.

ولفظ المسيح الذي أطلق على عيسى عليه السلام ، ما الذي يعنيه..؟ هل هو لفظ مقصور على عيسى أم انه اطلق على غيره ايضاً ..؟

تحدثنا التوراة والتفاسير أن لفظ المسيح معناه الممسوح بزيت البركة أو دهن الابتهاج، ذلك أن اليهود كان من عادتهم أن يقوموا بمسح ملوكهم وكهنتهم بزيت خاص مصنوع من دهون بعض البهائم وذلك في احتفال خاص يقام عند تنصيبهم، وقد أطلق لفظ المسيح على داود عليه السلام وعلى الملك شاول وعلى النبي ليشع وعلى كورش وكثيرين غيرهم من أنبياء وملوك اليهود، فكان داود عليه السلام يسمى مسيح الله، وكان شاول يسمى أيضًا مسيح الله كذلك ليشع وكورش وغيرهم وذلك نسبة إلى أن كلاً منهم ممسوح بالزيت المقدس فكل من يمسح بهذا الزيت المقدس يصبح مسيحًا أي مباركًا من الله[1].

وجريًا وراء هذه العادة سمي عيسى عليه السلام مسيح الله أي الرجل المبارك من الله والممسوح بالزيت المقدس، يقول الإنجيل عن عيسى «مسحك الله إلهك بدهن الابتهاج أكثر من شركائك»، والمعروف أن عادة المسح بالزيت المقدس ما زالت متبعة حتى الآن في الكنائس والمنازل يزاولها الكهنة عند منح بركاتهم للشعب المسيحي..!!

هذا هو السيد المسيح عيسى عليه السلام، ابن الله وكلمة الله، ليس سوى إنسان بشر من مخلوقات الله، رسول عظيم من رسل الله، ابن من أبناء الله الصالحين وكلمة من كلمات الله الحلوة بعثه إلى الأرض لهداية البشرية ونشر الحق والسلام.

أما دعاة التشبيه والتجسيد الذين يأبون إلا التمادي في الغي والذين يحرفون الكلام عن مواضعه فيخاطبهم القرآن الكريم متأسيًا ومتعجبًا لحالهم: ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ

(١) انظر صمويل الأول وملوك الأول.

وَتَنشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾ (مريم : ٨٨ - ٩٥).

* * *

حقيقة الروح القدس

يرى أصحاب الثالوث أن الروح القدس الذي يمثل عنصر الحياة في الثالوث المقدس يعتبر أقنومًا قائمًا بذاته، وإلهًا مستقلاً بنفسه، فالثالوث المقدس كما رأينا ثلاثة أقانيم هي الذات والنطق والحياة، فالذات هو الله الآب، والنطق أو الكلمة هو الله الابن، والحياة هي الله الروح القدس، ذلك أن الذات والد النطق، والكلمة مولودة من الذات، والحياة منبعثة من الذات، يقول الأستاذ يس منصور[1] «إن الروح القدس هو الله الأزلي فهو الكائن منذ البدء قبل الخليقة، وهو الخالق لكل شيء والقادر على كل شيء والحاضر في كل مكان، وهو السرمدي غير المحدود».

ويستطرد الأستاذ يس منصور قائلاً[2] «إن الروح القدس هو الأقنوم الثالث في اللاهوت وهو ليس مجرد تأثير أو صفة أو قورة بل هو ذات حقيقي، وشخص حي، وأقنوم متميز ولكنه غير منفصل، وهو حدة أقنومية غير أقنوم الآب وغير أقنوم الابن، ومساو لهما في السلطان والمقام ومشترك وإياهما في جوهر ولاهوت واحد».

وبعد هذا الشرح الوافي للاهوت الروح القدس يعود الأستاذ يس منصور فيقرر أن «هذا سر عظيم أعلنه الكتاب المقدس ويقبله العقل وإن يكن فوق العقل».

وفي محاولتنا استكناه حقيقة الروح القدس أو روح الله القدس سنبدأ بمطالعة ما سطر عنه في الكتب السماوية، وقد ورد ذكر الروح القدس في جميع

---

(١) رسالة التثليث والتوحيد ص ٤٥ وما بعدها.

(٢) المرجع السابق ص ٢٦٠ .

الكتب السماوية، في التوراة والإنجيل والقرآن، ورد ذكره بصدد حوادث مختلفة وفي مناسبات عدة.

ففي صدد ذكر خلق آدم تتحدث التوراة في الأصحاح الثاني من سفر التكوين فتقول «وجبل الرب الإله آدم ترابًا من الأرض ونفخ في أنفه نسمة حياة فصار آدم نفسًا حية» (تك ص ٢ / ٧).

وفي نفس المعنى والموضوع يتحدث القرآن الكريم قائلاً: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ (ص ٧١ -٧٢).

ومن ذلك نعلم أن الله أعطى آدم روحًا من خلقه فصار آدم نفسًا حية فروح آدم وحياته هي نفحة من روح الله، أي أن الحياة التي دبت في جسد آدم والروح التي حركت كيانه هي من روح الله أو هي روح من الله.

وكما ورد روح الله عند خلق آدم عليه السلام، ورد روح الله أيضًا عند خلق المسيح عليه السلام، يتحدث الله في القرآن عن مريم العذراء ابنة عمران ووالدة السيد المسيح فيقول ﴿والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا﴾، ومعنى ذلك أن السيد المسيح نفخة من روح الله، فقد نفخ الله في والدته نسمة حياة من روحه فولدت السيد المسيح عليه السلام، فآدم والمسيح كلاهما روح من الله ونفخة من روح الله.

كذلك فإننا نحن البشر بنو الإنسان أيضًا نفخة من روح الله. يتحدث القرآن الكريم عن خلق الإنسان فيقرر أنه ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنسَانِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ﴾ (السجدة ٧ – ٩). فالإنسان وآدم والمسيح نفخة من روح الله، ذلك أن جسد الإنسان من تراب الأرض أما روحه فهي نفخة أو قبس من روح الله. وبهذا المعنى يورد حزقيال النبي قول الله

لآلاف الموتى الذين أحياهم الله على يدي حزقيال يقول الله لهم «فأعطى فيكم روحي» أي أن الله يعطي روحه لأولئك الموتى أي يعطيهم نسمة الحياة ويعطيهم الروح التي هي ملكه والتي لا يعرف كنهها سواه، يقول سبحانه لخاتم المرسلين: ﴿ ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي ﴾ (الإسراء: ٨٥)، فالروح هي نسمة الحياة التي تدب في الكائنات، وهذه النسمة التي تبعث القوة في أجسادنا والتي نسميها الروح إنما هي نفخة من روح الله وقبس ضئيل من قوته تعالى.

وكما وردت روح الله القدس معنى القوة التي تحدث الحياة في الكائنات، وردت كذلك بمعنى القوة التي يبعثها الله لتأييد أنبيائه المكافحين وشد أزر عباده المخلصين، فالله يؤيد أنبياءه والمؤمنين به بروح من عنده، وبقوة من لدنه، تمكنهم من أداء رسالتهم ومواصلة كفاحهم في سبيل الحق، يقول الله عن رسوله عيسى عليه السلام ﴿ وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس ﴾ (البقرة: ٧٨).

ويقول عنه أيضًا: ﴿ إذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلاً ﴾ (المائدة : ١١٠). فالله سبحانه وتعالى قد أيد المسيح عيسى بروح من عنده، أي بقوة من لدنه تعالى وذلك كي يتمكن من تبليغ الرسالة وأداء الأمانة، وكي يتحمل المصاعب والمشاق في سبيل إعلاء كلمة الله.

وفي هذا المعنى يورد القديس لوقا في الأصحاح الرابع من إنجيله قول السيد المسيح «روح الرب علي لأنه مسحني لأبشر المساكين» (لو ص ٤ / ١٨)، وتتحدث رسالة أعمال الرسل في الأصحاح العاشر منها عن السيد المسيح وعن المعجزات التي أيده الله بها فتقول «يسوع الذي من الناصر كيف مسحه الله بالروح القدس والقوة، الذي جال يصنع خيرًا ويشفي جميع المتسلط عليه

إبليس لأن الله كان معه» (أعمال الرسل ص ١٠ / ٣) وهنا نجد لفظ الروح القدس مرادفًا للفظ القوة، فالروح القدس هي القوة التي أيد الله بها السيد المسيح من لدنه تعالى، وبهذه القوة استطاع المسيح عيسى صنع المعجزات وشفاء الأمراض، وهذه القوة العلوية التي تسمى الروح القدس ليست قوة مادية منظورة وليست إلهًا قائمًا بذاته، وإنما هي قوة روحية قدسية من لدن الله القدوس.

وكما أيد الله رسوله عيسى عليه السلام بروحه القدس وبقوته العلوية فقد أيد بتلك الروح والقوة كثيرًا من أنبيائه الصالحين وعباده المؤمنين، تحدثنا التوراة أن روح الله حل على داود عليه السلام، يقول داود «روح الرب تكلم بي وكلمته على لساني» (صموئيل الثاني ص ٢٣ / ١).

أما أشعياء النبي فيقول الله عنه «وضعت روحي عليه فيخرج الحق للأمم»، ويقول عنه أيضًا «يحل عليه روح الرب روح الحكمة والفهم، روح المشورة والقوة» (أش ص ٤٢ / ٢ ، ص ١١ / ٢).

ويقول حزقيال النبي «وحل على روح الرب وقال لي قل: هكذا قال الرب..» (حز ص ١١ / ٥).

وزكريا الكاهن تقول التوراة عنه «ولبس روح الله زكريا ابن يهويا داع الكاهن فوقف فوق الشعب وقال لهم هكذا يقول الله: لماذا تتعدون وصايا الله فلا تفلحون» (أخبار الأيام الثاني ص ٢٤ : ٢٠).

من هنا نعلم أن روح الله القدس هي القوة التي يؤيد الله بها أنبياءه وأولياءه لنشر العدل ومحاربة الضلال، يقول الله عن رسله المكرمين ﴿أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ (المجادلة: ٢٢).

وكل من يضع الله روحه عليه ويمده بقوته العلوية يصبح إنسانًا ربانيًا

وبشـــرًا نبـيًا ذا قـــوة ســـماوية، تقول التوراة «يا ليت كل الشعب كانوا أنبياء إذا جـعل الرب روحـــه عليـــهم» (عـد ١١ / ٢٩) ويعـد الله بأن يسكب روحـه على كـافـة أفراد الشعب فيـقـول «ويكون بعـد ذلك أني أسكب روحي على كل بشر» (يؤ ٢ / ٨).

هكذا يمد الله بروحه وقـوته المؤمنين والعـاملين بوصاياه، وهكذا يرسل الله روحـه تشـد أزر عـبـاده المخلصين، وتزيد أنبـيـاءه المكافـحين، وتقـوي أوليـاءه الصالحين، يقول سبحانه في قـرآنه: ﴿ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾ (غافر: ١٥).

ويقـول عـزوجل : ﴿ يُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾ (النحل: ٢). فـروح الله القـدس هـي قـوة مـن خلقـه تـعـالى تتوجـه بأمـره وإرادته إلى من يريد، وإلى حيث يريد لتأييد وتعضيد أي شيء يريد.

يورد الأصحاح الثاني عشر من إنجيل متى قول السيد المسيح عليه السلام «إن كنت أنا بروح الله أخرج الشياطين فقد أقبل عليكم ملكوت الله» (متى ١٢ / ٢٨). فالسيد المسيح يشفي الأمراض ويخرج الشياطين بروح الله أى بقوة من الله ولا يتـصـور أحـد أن روح الله التي يقصدها المسيح هنا هي الله نفسه أو جزء من الله.

هذه القوة العلوية وهذا المدد السماوي الذي يقوي عزائم الأنبياء ويشد أزر الأولياء فيقومون بأداء الرسالة ويحسنون تبليغ الأمانة. هذه القوة الإلهية التي تؤيد الأنبياء والمؤمنين إنما هي قبس ضئيل من نور الله وشعاع خافت من بهاء ضيائه. نفخة عابرة من سلطان قوته وعظمته، وهي ليست بأي حال من الأحوال ذات الله أو جزءًا أو عنصرًا في الله.

وروح الله القدس هي الروح الطيب روح الخير، وذلك بعكس روح الشيطان

وهو الروح الخبيث روح الشر، وكل ما هو من الله فهو خير وكل ما هو من الشيطان فهو شر، تحدثنا التوراة أن شاول أحد ملوك اليهود كان رجلاً صالحًا فرضي الله عنه ووضع روحه عليه وأيده بقوة من لدنه ومنحه القدرة على التنبؤ بالغيب، تقول التوراة «فاستقام روح الله على شاول» (صموئيل ص ١١ / ٦) وتستطرد التوراة قائلة «فانطلق شاول إلى نويت في الرامة وحلت عليه روح الرب فجعل يسير ويتنبيء (صموئيل ص ٩١ / ٢٣)، ثم تحدثنا التوراة أن شاول عصى الله بعد ذلك وأصبح رجلاً شريرًا فسحب الله منه القوة التي كان قد أمده بها، وأخذ منه قبس الروح الإلهي الذي كان قد منحه إياه ثم تركه لروح الشيطان روح الشر والإثم تسيره وتتسلط عليه، تقول التوراة «وابتعد روح الله عن شاول وصار روح رديء يعذبه بأمر الرب» (صموئيل ١ ص ١٦).

وهنا نجد أن روح الله تعني روح الخير ونبع البركات للإنسان، أما روح الشيطان فهو الروح الرديء روح الشر نبع الشقاوة للإنسان، فكل روح طيب فهو من الله وكل روح رديء فهو من الشيطان.

والروح القدس هو الروح الطاهر الروح المبارك، الروح الأمين، ذلك أن القدس في اللغة معناها الطهر أو البركة، ومن هنا فقد أطلق الروح القدس على ملاك الله جبريل عليه السلام، يتحدث الله عن تنزيل القرآن فيقول لرسوله الكريم ﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ (النحل: ١٠٢).

ويقول سبحانه أيضًا عن القرآن وجبريل: ﴿ وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴾ (الشعراء : ١٩٢ - ١٩٤).

فجبريل عليه السلام، الملاك الطاهر والروح الأمين، هو روح قدس أي روح مقدس من الله وروح مبارك أنزله الله على رسوله محمد عليه الصلاة والسلام

ليبلغه القرآن.

وجبريل روح الله، هذا الروح الكريم المبعوث من لدن الله، هو الذي بشر مريم العذراء بمولودها الكريم، السيد المسيح عليه السلام، وهذا ما ورد في صدر الأصحاح الأول من إنجيل متى، وهو ما أورده القرآن الكريم في قوله تعالى ﴿ فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾ (مريم : ١٦) فروح الله هنا وهو جبريل عليه السلام نزل إلى مريم العذراء في صورة إنسان وبشرها بغلامها الزكي المسيح عيسى عليه السلام.

وجبريل الملاك الطاهر وباقي الملائكة الأطهار هم روح الله، فهم أرواح من قبل الله، أرواح قدسية طاهرة مباركة، إنهم قوة الله وروحه تؤيد الأنبياء وتعضد المؤمنين وتحقق إرادة الله في ملكه وملكوته.

هذا هو الروح القدس، الروح الطاهر روح من الله، وقوة من الله يمد بها عباده المومنين ورسله المكافحين، فيتمكنوا بهذه الروح وتلك القوة من أداء رسالتهم وتدعيم عقيدتهم، إن القائد عندما يقف في المعركة وسط جنوده فإنه يمدهم بقوة من روحه تضاعف من قوتهم وتشد عزيمتهم وتدفعهم إلى النصر، فروح القائد هنا هي قوة معنوية يحس بها الجنود قرب قائدهم، يقاتلون العدو والقائد معهم يشد أزرهم، والله سبحانه يمد جنوده المؤمنين بروحه العلوية وقوته السماوية، ليتمكنوا من مصارعة قوى الشر وصرع جنود الإثم وإعلاء كلمة الحق والخير والفضيلة.

إن روح الله، روح القدس، ليست هي الله، وليست اقنومًا او جزءًا او عنصرًا في الله وإنما هي قوة من خلق الله، ونفحة من قواه وقبس من نور ضياه، ينعم بها على المؤمنين والصالحين.

وكم من قوى وقدرات لله بغير حدود، وكم من كلمات لله بغير عد، وكم من

أبناء لله بغير حصر وكلهم جميعًا دون استثناء أبناء وبشر وأرواح وقوى وملائكة هم مخلوقات من صنع الله الواحد ذي الجلال، لا يمكن لمخلوق منها أن يدعي أنه من جنس الخالق أو أنه جزء أو عنصر في الخالق، إن الخالق الموجد قادر على إهلاك وإفناء ما خلق، فكما خلقه من العدم فهو قادر على إعادته إلى العدم.

إن المثال حين يصنع تمثالاً فإنه يستطيع أيضًا أن يهدمه ولا يتصور احد ان يدعي التمثال أنه من جبلة صانعه أو أنه جزء أو عنصر في هذا الصانع، ولكن الإنسان الضعيف أحد مخلوقات الله تطاول على صانعه، ثم أخذه الغي ولعبت برأسه نشوة الضلال فقلب الوضع وعكس الآية، فقام بإعادة تكوين وتشكيل صانعه، ثم راح يعيد تقسيم خالقه إلى أقسام ثلاثة ابتدعها خياله، جاعلاً كل قسم منها إلهًا قائمًا بذاته، محولاً الإله الواحد إلى ثلاثة آلهة، مدعيًا لنفسه القدرة على صنع الآلهة وهو المخلوق المصنوع، ثم قام بتقسيم الأعمال والأعباء والوظائف بين آلهته الثلاثة التي صنعها، عطفًا وإشفاقًا من أن يتحمل كل تلك الأعمال والأعباء والوظائف إله واحد .. حقًا ما أشقى الإنسان..!!.

* * *

الفصل الثامن

اللـــه الـواحـد

التوحيد هو دين الكافة، كافة العقلاء والعلماء والفلاسفة والأنبياء وكل ذي بصيرة.

ولقد عرفت الإنسانية التوحيد منذ القدم، ونادى به من لم تصل إليهم رسالات السماء أو بشارات الأنبياء، عرفه المصريون القدماء ونادى به فرعون مصر إخناتون، وعرفه فلاسفة اليونان القدامى، وعرفه كل من فطر على السوية والصواب، هؤلاء جميعًا عرفوا التوحيد وهدتهم فطرتهم السليمة إليه فلم ينحرف أي منهم إلى ضلال التعدد أو الثالوث.

هذا سقراط شيخ الحكماء، يحدث تلاميذه قائلا: «يجب أن تعرفوا أن إلهكم واحد»، ثم يأتي بعده أفلاطون فيعلن أن «الله واحد لا شريك له وإلا لحد الشريك من سلطته التي لا يثبت له الكمال إلا إذا كانت لا حد لها»، ويأتي بعدهما أرسطو فيقرر أنه «مما يدل على وحدانية الله انتظام العالم وتناسق حركاته...» ويؤكد الفيلسوف اليوناني مليسوس أن «اللامتناهي واحد فقط، إذ يمتنع أن يكون هناك شيء خارج اللامتناهي...».

وإذا تركنا الفلاسفة جانبًا ثم ذهبنا إلى العلم نحكمه في قضية الثالوث والوحدانية لوجدنا أنه لم ينته أي من العلماء في أبحاثه عن الله الذي يثبت

العلم وجوده أن له سبحانه ثلاثة أقانيم أو أنه على صورة إنسان أو شمس أو تفاحة كما يصوره أصحاب الثالوث، يقرر العالم الإنجليزي هرشل أنه «كلما اتسع نطاق العلم كلما ازدادت البراهين الدامغة على وجود خالق أزلي واحد لا حد لقدرته ولا نهاية، فالجيولوجيون والرياضيون والفلكيون والطبيعيون قد تعاونوا على تشييد صرح العلم وهو صرح عظمة الله وحده».

وقد يجيبنا أصحاب الثاالوث : ما لكم بالفلاسفة وما شأنكم والعلماء، اذهبوا إلى الأنبياء وطالعوا رسالات اسماء فستعثرون فيها على الثالوث، ولا بأس بهذا القول، فلنترك الحكماء والعلماء والفلاسفة جانبًا، ولنذهب إلى أنبياء الله نطالع أقوالهم ونسائل أحكامهم، ونستكنه أخبارهم ونتصفح كتبهم، باحثين منقبين عن دعوة الثالوث وحقيقة الألوهية وحظها من الثالوث، إذا فعلنا ذلك فسوف نعلم أن هذه الدورة الثالوثية ظلت غريبة على كافة الأنبياء، لم يكتشف أي منهم وجود ثلاثة آلهة في الكون ولم يسعد الحظ أيًا منهم بتبين وجود ثلاثة أقانيم في الطبيعة الإلهية.

ونظـــرًا لهـذا العلم المحدود الذي ناله أنبياء الله، بالقياس إلى العلم الزاخر الذي يفيض من أصحاب الثالوث، فقد نادى الأنبياء جميعًا بوحدانية الله، ولم يتحدث أحد منهم عن شيء اسمه الثالوث، سواء في هذا الأنبياءُ الذين جاؤوا قبل السيد المسيح أو من جاء بعد السيد المسيح أو السيد المسيح ذاته.

إن دعوة الثالوث ظلت مجهولة عن البشر وعن كافة الأنبياء منذ أن خلق الله العالم حتى طلع علينا دعاة الثالوث، أما الأنبياء كافة فقد نادوا دومًا بوحدانية الخالق مدبر الوجود الذي لا يساويه ولا يماثله أحد والذي لا يشبهه ولا يدانيه شيء، بل هو سبحانه الواحد الأحد الفرد الصمد منذ الأزل وإلى الأبد.

قال بهذا كل الأنبياء، ونزلت به جميع رسالات السماء، وسطرته كافة الكتب السماوية التي يقدسها البشر من جميع الأديان، سواء منها التوراة أو الإنجيل أو القرآن.

وإذا بدأنا بمطالعة التوراة، دستور اليهودية وأساس المسيحية ومعهد الإسلام، الكتاب الذي يقدسه اليهود، ويؤمن به المسيحيون، ويعترف به المسلمون، إذا طالعنا التوراة وأعدنا البحث والتنقيب في أسفارها وبين سطورها، فإننا لا نجد فيها كاهنا يتحدث عن الثالوث ولا نبيًا يهمس بالتعدد، بل إننا نجد جميع أنبياء وكهنة التوراة ينادون بل ويصرخون بوحدانية الله وبأنه سبحانه لا شريك له، ولا تركيب فيه، ولا شبيه له ولا مثيل، قال بهذا كافة أنبياء التوراة، وكافة أحبار اليهود.

يقول موسى عليه السلام «الرب هو الإله في السماء من فوق، وعلى الأرض من أسفل ليس سواه» (تثنية ص ٤ / ٣٩) ويقول موسى أيضًا في سفر الخروج: «إنه ليس مثل الرب إلهنا» (خر ١٨ / ١٠)، ولقد كانت أولى الوصايا العشر التي أنزلها الله على نبيه موسى وشعبه قوله سبحانه «أنا الرب إلهك. لا يكن لك آلهة أخرى أمامي» (خروج ص ٢٠).

وداود عليه السلام جد السيد المسيح، يخاطب الله قائلاً: «يا الله من مثلك؟» (مزمور ٧١ / ١٩) ويستطرد داود في المزمور التسعين مناجيًا ربه بقوله «من قبل أن توجد الجبال أو أبدأت الأرض والمسكونة، منذ الأزل إلى الأبد أنت الله» (مز ٩٠ / ١٧)، ثم يخاطب داود إلهه بقوله «لأنك عظيم أنت وصانع عجائب، أنت الله وحدك» (مزمور ٨٦ / ١٠).

ويدعو داود الشعب إلى تعظيم الله الواحد قائلاً: «ليسبحو اسم الرب لأنه قد تعالى اسمه وحده مجده فوق الأرض والسموات» (مزمور ١٤٨ / ١٣) ثم

يخاطب داود أخيرًا أصحاب التعدد والتشبيه في تعجب قائلاً «من هو إله غير الرب ومن هو صخرة سوى إلهنا» (مزمور ١٨ / ٣١).

ونحميا النبي يخاطب الله الواحد بقوله «أنت هو الرب وحدك» (نحميا ٩ / ٦) أما أيوب الصديق فيتحدث عن ربه قائلاً: «الباسط السموات وحده والماشي على أعالي البحار» (أيوب ٩ / ٨) ويقول أيوب أيضًا عن خالقه «أوليس صانعي في البطن صانعه وقد صورنا واحد في الرحم» (أيوب ٣١ / ١٥).

ويقول ملاخي النبي «أليس إله واحد خلقنا» (ملا ٢ / ١٠).

أما أرميا النبي فيخاطب الله بقوله: لأنه لا مثيل لك يا رب عظيم أنت وعظيم اسمك في الجبروت» (ارميا ١٠ / ٦).

ويقول النبي حزقيال «أنت هو الإله وحدك لكل ممالك الأرض، أنت صنعت السماء والأرض» (٢ مل ١١ / ١٥)،ويقول حزقيال أيضًا: «والآن أيها الرب إلهنا خلصنا من يده فتعلم ممالك الأرض كلها أنك أنت الرب وحدك» (أش ٣٧ / ٢٠).

ويتحدث الله في التوراة عن نفسه، مبينًا للناس وحدانيته سبحانه وتعالى فيقول: «أنا الرب صانع كل شيء ناشر السموات وحدي باسط الأرض من معي» (أش ٤٤ / ٢٤) ويقول جل وعلا «أما أملأ أنا السموات والأرض» (أرميا ٢٣ / ٢٤).

ويقول الله مخاطبًا البشر «أنا هو الرب وليس غيري وليس دوني إله، ليعلم الذين هم من مشرق الشمس ومن مغربها أنه ليس غيري، أنا الرب وليس آخر» (أشعياء ٤٥ / ٥ - ٦).

ويقـول عـز وجل «قلبي لم يصور إله وبعدي لا يكون، أنا الرب وليس غيـري مخلص» (أشعياء ٤٣ / ١٠).

ويقـول تبـارك وتعـالى «أنا الأول وأنـا الآخـر ولا إله غـيـري (اش ٢٤ / ٦). ويقـول سـبحـانه «أنا أنا هو، وليس إله معي» (تثنية ٣٢ / ٢٩) ويقـول الله أيضًا «أنا الرب لا أتغير» (ملاخي ٣ / ١).

فـالله سـبحـانه وتعـالى في التوراة عن نفسـه، فيعلن لعبـاده أنه إله واحـد لا يوجد إله سـواه، ولا يوجـد مـعه إله، ولا يوجـد إله آخـر أعلى منه، ولا إله ثالث أدنى منـه، ولكنه جل في عـلاه لا يتـغـيـر ولا ينتـقل من حـال إلـى حـال، أو من توحيد إلى تثليث، فهو الواحد الأحد منذ الأزل إلى الأبد.

فـالله سبـحـانه وتعـالى يتحدث في التـوراة عن نفسه، فيعلن الأرض ولا فـوق السـمـاء ولا تحت الأرض، ولا يشـبـهـه أحـد من مـخلـوقـاته، فـهـو ليس شـبـيـهًـا بالإنسـان ولا بالشمس ولا بالتفاحـة، ولا بأي شـيء آخر في الوجـود، بل إنه جل وعـلا منزه عن مشـابهـة المخلوقات، يتحـدث النبي أشعيا فـي استـغـراب وتعـجب إلى أصـحـاب التـشـبيه والتـعـدد بقـوله «بمن تشـبـهـون الله..؟ وأي شـبـه تعـادلون بـه..؟» (أشـعـيـاء ٤٠ / ١٨). ثم يورد أشـعـيـاء قـول الله «إني أنا الله ولـيس غيـري إله، وليس لي شبه..».

ويتحدث الله معاتبًا المجسدين والمشبهين فيقول «بمن تشبهونني وتسـاوونني وتمثلونني لنتشابه» (أشعياء ٤٦ / ٥).

حـقـا . . بمن تشـبـهـون الله ، وبمن تسـاوونه، وبمن تمثلونه؟ أتشبـهـونه بأحـد مـخلـوقـاته الضـعـيـفـة.. أم تسـاوونه بشـيء فـي الوجـود وكله طوع إرادته . . أم تمثلونه بأوهـام تـراءت لنفـوسكم المـريضــة؟ يا له من عـتــاب مـر، وتوبيخ لاذع، وتأنيب قـاس لكل من لـه حـس أو شـعـور، عـتــاب يهـز النفـوس وتوبيخ يوقظ

الضمائر، وتأنيب يرج القلوب.

والمرء منا ليعجب كيف استطاع أصحاب الثالوث تشبيه الله بالكائنات والجوامد، والله سبحانه لم يره أحد، فهو يدرك الأبصار ولا تدركه الأبصار، وهو يملأ السموات والأرض ولكنه لا يتحيز بمكان.

وتتحدث التوراة عن هذه الحقيقة فتورد حادثة تجلي الله على الجبل وإنزاله الوصايا العشر على موسى عليه السلام، فتقرر للشعب قائلة «فكلمكم الرب من جوف النار فسمعتم صوت كلامه ولم تروا الشبه البتة»، ثم تحذر الشعب من وهم تصور رؤية الله فتقول لهم «فاحفظوا أنفسكم بحرص فإنكم لم ترو شبيهًا يوم كلمكم الرب في حوريب من جوف النار» (تثنية ص ٤ / ١٢ ، ١٥).

وحتى موسى الكليم نفسه فإنه أيضًا لم ير الله، تتحدث التوراة عن تجلي الله لموسى وسط لهيب نار عليقة، ومخاطبة الله لنبيه، ثم تقرر أن موسي طلب من الله أن يكشف نفسه له، ولكن الله خاطبه قائلاً «لا تقدر أن ترى وجهي، لأن الإنسان لا يراني ويعيش» (خروج ص ٣٣ / ٢٠) وتضيف التوراة في الأصحاح السادس عشر من سفر الخروج أن الله حين تجلى لموسى على الجبل ارتعد الجبل من خشية الله.

ويورد القرآن تلك الحادثة فيقول: ﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الأعراف: ١٤٣). من هذا نرى أن الله لم يره أحد من الناس، حتى أنبياؤه وأولياؤه، بل إن موسى عليه السلام الذي اختصه الله بكلامه مباشرة لم يتمكن من رؤية الله.

وتورد الأناجيل تلك الحقيقة وهي عدم إمكان رؤية الله فتقول «إن الله روح» (يوحنا ص / ٢٤) «والروح ليس له لحم أو عظام» (لوقا ٢٤ / ٣٩) لذلك فالله هو «غير المنظور» (كولوسي ١ / ١٥).

ويقول القديس يوحنا «الله لم يره أحد» (يوحنا ص / ١ / ١٨) ويقول القديس بولس في رسالته الأولى إلى تيموثاوس أن «الله لم يره أحد من الناس ولا يقدر أن يراه» (تيموثاوس ١ ص ٦ / ١٦). وفي رسالة يوحنا الأولى يقرر أن «الله لم ينظره أحد» (يوحنا ص ٤ / ١٢).

ومحمد عليه الصلاة والسلام، خاتم النبيين وحبيب رب العالمين رغم قربه من الله وحب الله له، فإنه لم ير الله، يقول القرآن عن الرسول الأمين: ﴿ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ۝ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ۝ وَهُوَ بِالأُفُقِ الأَعْلَىٰ ۝ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴾ (النجم : ٥ - ٩). فالرسول الكريم رغم قربه ودنوه من العرش الإلهي ورغم ارتفاعه في السموات العلا فإنه لم ير الله جهرة، سئل عليه الصلاة والسلام يومًا «كيف رايت ربك؟ فأجاب: نور انى أراه..».

نعم هو نور السموات والأرض، هو القوة التي تسير الكون وتضيء الوجود، هو روح الحياة يملأ كل مكان ولا يحده مكان ولا يتحيز بحيز، فهو المنفرد بالعظمة، والمنفرد بالعظمة لا شبيه له ولا مثيل فهو الواحد الفرد، الذي لا يدانيه أحد، يقول سبحانه ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾ (الشورى: ٥١).

وتقرر التوراة في صراحة أن الإشراك بالله والدعوة إلى عبادة غير الله كفر يستوجب القتل ولو كان الداعي إلى ذلك نبي من الأنبياء، وسواء كان الداعي إلى هذا الشرك رجلاً أو امرأة، يقول الأصحاح الثالث عشر من سفر التثنية أنه «لو دعا نبي إلى عبادة غير الله يرجم رجلاً كان أو امرأة»..

وإذا تركنا التوراة جانبًا، بعد أن أوردنا قليلاً من كثير من دعوتها إلى الوحدانية ثم ذهبنا نطالع الأناجيل ورسائل الحواريين، لوجدنا أن دعوة المسيحية ما هي إلا دعوة الوحدانية التي هي عماد كل دعوة سماوية وملاك كل رسالة ربانية، وأساس كل دين إلهي، فالركيزة الأولى التي تتأسس عليها دعوات السماء وتفترق بها عن دعوات الأرض، هي توحيد الله وإخلاء العقول والقلوب عمن عداه.

والمسيحية كرسالة سماوية أتت من لدن الله، لم تخرج عن كافة رسالات السماء ولم تتحرف عن طريق كل الديانات، وإنما هي في حقيقتها وجوهرها دعوة إلى الوحدانية التي لا يشوبها تجسيم أو تعدد، يقول القديس بولس في رسالته الأولى إلى صديقه ثيموثاوس «لأنه يوجد إله واحد ووسيط واحد بين الله والناس الإنسان يسوع المسيح» (أتى ٢ / ٥). هنا يؤكد بولس وحدانية الله، وبشرية المسيح الإنسان رسول الله الذي يشفع لأمته عند ربه، فهو الرسول الإنسان، الذي يتوسط بين الله والناس، الناس من أتباعه المؤمنين يشفع لهم عند ربه، كسائر الرسل يتولى كل منهم الشفاعة لقومه عند ربه، وفي رسالة بولس إلى أهل رومية يقول «لأن الله واحد» (رو ٣ / ٢٠)، وفي رسالته إلى أهل غلاطية يقول أيضًا «ولكن الله واحد» (غل ٣ / ٢٠).

أما يعقوب الحواري فيقول «أنت تؤمن أن الله واحد حسنًا تفعل» (يعقوب ٢ / ١٩)، ويقول يعقوب أيضًا «واحد هو واضع الناموس القادر أن يخلص ويهلك» (يع ٤ / ١٢).

ويورد الأصحاح الخامس من إنجيل يوحنا قول السيدالمسيح عليه السلام معنفًا قومه اليهود على عدم إيمانهم بالله الواحد بقوله «كيف تقدرون أن تؤمنوا وأنتم تقبلون مجدًا بعضكم من بعض والمجد الذي من الإله الواحد

لستم تطلبونه» (يو ص ٥ / ٤٤) فالسيد المسيح هنا يعنف بني إسرائيل على زيفهم وضلالهم وعدم اعتمادهم على الله الواحد، معتمدين على المخلوقات الفانية.

يحدثنا القديس مرقص في إنجيله أنه بينما كان السيد المسيح جالسًا مع تلاميذه وحوارييه يشرح لهم تعاليم الله أتاه أحد الناس يسأله: «أية وصية هي أول الكل ... فأجاب يسوع: إن أول كل الوصايا هي اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد، وتحب الرب إلهك من كل نفسك ومن كل فكرك ومن كل قدرتك، هذه هي الوصية الأولى..» ويستحسن الرجل قول السيد المسيح، ويتيقن بذلك من صدق نبوته فيرد عليه قائلاً «جيدًا يا معلم بالحق قلت لأنه الله واحد وليس آخر سواه..» (إنجيل مرقص ص ١٢ / ٢٩، ٣٠) ونفس الحادثة يوردها إنجيلا متى ولوقا وفيها يقرر السيد المسيح أن أول كل الوصايا ولباب الدين وأساسه، هي توحيد الله وحبه وعبادته سبحانه بكل قوانا وقدراتنا، ومن كل فكرنا وعمق قلوبنا وحين يسمع السائل ذلك يطمئن إلى صدق السيد المسيح، ويؤمن بحقيقة رسالته ويتأكد أنه نبي مرسل من قبل الله الواحد الذي يدعو إليه كافة الأنبياء وتخضع له كافة المخلوقات.

ويحدثنا القديس متى في إنجيله أنه بينما كان السيد المسيح يسير في الطريق «وإذا واحد تقدم وقال له أيها المعلم الصالح، أي صلاح أعمل لتكون لي الحياة الأبدية، فقال له: لماذا تدعوني صالحًا ليس أحد صالحًا إلا واحد وهو الله، ولكن إذا أردت أن تدخل الحياة فاحفظ الوصايا..» وهذا الحادثة مسطورة أيضًا في الأصحاح العاشر من إنجيل مرقص، وفيها نرى أحد الأشخاص يسأل السيد المسيح طالبًا منه أن يرشده إلى الأعمال الخيرة التي تؤدي به إلى دخول الجنة، وقبل أن يبدأ الرجل سؤاله فإنه يخاطب السيد

المسيح في إجلال وتقدير بقوله «أيها المعلم الصالح» ولكن السيد المسيح الإنسان بدلاً من أن يسر بهذه التسمية، وبنعته بوصف الصلاح فإنه يثور ويغضب رافضًا بشدة أن ينسب إليه الصلاح أو أن تخلع عليه صفة من صفات الله، فالسيد المسيح بشر خاضع لقانون الصواب والخطأ، غير معصوم من الهنات والزلل، لذلك فإنه لا يمكن أن يكون دومًا صالحًا ولكن الصلاح لله وحده، وهذا ما دعا السيد المسيح إلى أن يحرص قبل إجابة السائل على سؤاله أن يزيل من ذهنه ما التبس عليه موضحًا ومؤكدًا وحدانية الله، واختصاصه سبحانه بكل صفات الصلاح والكمال التي لا يشاركه فيها أحد.

ثم يأتي إبليس الرجيم محاولاً غواية المسيح الإنسان، محرضًا إياه على الشرك بالله أو السجود لغير مولاه، عارضًا عليه ممالك الأرض وخزائن الدنيا، ولكن السيد المسيح الرسول الأمين والنبي العظيم ينتصر على التجربة، ويقهر عبث الشيطان ثم ينهره قائلاً «اذهب عني يا شيطان لأنه مكتوب للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد..» (إنجيل متى ٤ / ١٠).

وفي الأصحاح السابع عشر من إنجيل يوحنا يورد القديس مناجاة السيد المسيح لربه الواحد وفي هذه المناجاة يبين المسيح للناس طريق الحق، طريق الحياة الأبدية، طريق جنات النعيم، يقول المسيح لربه «وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك، أنت الإله الحقيقي وحدك..» (يو ١٧ / ٢).

نعم لقد صدق السيد المسيح، إن طريق الفردوس هو التوحيد، أما طريق الجحيم فهو الشرك والتثليث والتعدد، نعم لقد صدق السيد المسيح، أنت يا رب وحدك الإله الحق، وليس غيرك إلا الزيف والزور والبهتان، أنت يا رب وحدك الإله الحقيقي أما الباقون فآلهة مزيفون وسادة مشوهون ابتدعهم

خيال المرضى وأحلام الواهمين.

ويورد القرآن الكريم هذه المعاني الحلوة على لسان السيد المسيح فيقول: ﴿قَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾(المائدة : ٧٢).

هذه هي رسالة المسيحية الحقيقة، وحدانية الله وتنزيهه عن مشابهة مخلوقاته، وعدم الإشراك به وحبه وعبادته وتقديسه، واتصافه سبحانه بكل صفات الصلاح والكمال التي لا يزاحمه فيها رسول أو بشر أو ملاك، أما دعوة الثالوث وكافة ما ألصقه الغاوون والمارقون بهذه الرسالة السماوية العظيمة من أباطيل وترهات فلا صلة لها بالمسيحية ولا برسالة السيد المسيح عيسى عليه السلام، والمسيحية ورسولها العظيم بريئان من كل ما ألصقه هؤلاء الشاردون بهما سواء بقصد الإساءة أو بقصد الإحسان، فالنتيجة في الحالتين هي تشويه رسالة من أعظم الرسائل التي أنزلها الرحمن لهداية بني الإنسان.

هذه المسيحية الحقة، وهذا التوحيد الخالص اهتدى إليه الكثيرون من المسيحيين سواء في ذاك العباقرة أو العاديون، الفلاسفة أو رجال الدين، هؤلاء المسيحيون الموحدون عرفوا المسيحية الحقة، عرفوها وأعلنوها على الملأ في صراحة ووضوح، ودون خوف أو وجل، عرفوها وأعلنوها في كل زمان ومكان، وفي كل حال ومجال حتى في حصون المشبهين وهياكل المثلثين، عرفوها وأعلنوها فلاقوا في سبيلها الأخطار والأهوال وذاقوا العنت والعذاب.. عاشوا دفاعًا عنها، وماتوا في سبيلها.

هذا آريوس يقرر أن الله وحده هو الإله الأصلي الواجب الوجود، أما الابن والروح القدس فهما كائنات من خلق الله، فيحكم عليه بالكفر والهرطقة ويتقرر قتله مع مشايعيه.

وهذا أوريجانوس يعلن أن الله روح لا يدركه الفهم وهو أعلى من أن تكون أوصافه شبيهة بإنسان، وأن الله لا يتجزأ ولا يحد ولا يحصر، فيحكم عليه بالحرمان وتحرق كتبه ثم يطرد مع أتباعه.

والفيلسوف المسيحي ترتليان سنة ٢٢٠ م يعلن «أننا بريئون من الذين ابتدعوا مسيحية رواقية أو أفلاطونية أو جدلية، بعد المسيح والإنجيل لسنا بحاجة إلى شيء».

والأسقف نسطور ينكر ألوهية المسيح ويقرر أنه إنسان كسائر الناس مملوء بالنعمة والبركة ويشايعه في هذا الفيلسوفان تولستوي ورينان، والأسقفان سابليوس وبولس الشمشاطي، ثم يأتي الأسقف مقدونيوس فينكر ألوهية الروح القدس أيضًا.

وفي أسبانيا يجهر المصلح الأسباني (سرفتيوس) برأيه في وحدانية الله وإنكار الثالوث فيتقرر إحراقه حيًا سنة ١٥٥٣م.

وفي بولونيا نادى سوسينس بوحدانية الله وبشرية المسيح مقررًا أن الإله لا يحل في البشر، وقد تفرع عن عقيدته مذهب الموحدين، الذين قاموا يدعون إلى تطهير المسيحية من أدران الوثنية وجهالة التسجيد، ولاقى أفراد هذا المذهب من الاضطهاد والتعذيب ما اضطرهم إلى هجر وطنهم إلى مختلف البلاد يلاحقهم العذاب أينما حلوا.

لم يخل مكان من عشاق الحقيقة، ولم يخل زمان من عباد التوحيد، عرفوا الحقيقة وأعلنوها، ثم حاربوا في سبيلها وضحوا من أجلها بكل عزيز، حتى الحياة نفسها دفعوها ثمنًا لإظهار الحقيقة.

ولكن عشاق الزور والبهتان، وعباد الزيف والضلال لاحقوا الموحدين تجويعًا

وتشريدًا، وسجنًا وتعذيبًا، وإحراقًا وتقتيلاً، حتى تاهت الحقيقة... تاهت وسط الزحام، ودست في عمق الظلام.

ثم جاء محمدﷺ، جاء ليبعد الطغام، ويفض الزحام، وينير الظلام، لتبدوا الحقيقة واضحة للعيان، تنطق بالتوحيد في أجلى بيان.

جاء محمد ﷺ شقيق المسيح، وخاتم الأنبياء ورسول للناس أجمعين، وأنزل الله عليه القرآن هدى وبشرى للعالمين، ومعجزة دونها كافة المعجزات، ورسالة تتحدى عوائق الزمان والمكان، وسار محمد عليه الصلاة والسلام على درب إخوته الأنبياء، ونهل من نبع الحق الصافي، ونادى القرآن بالتوحيد، التوحيد في قمته وفي أسمى معانيه، توحيد الله وإخلاء العقول والقلوب من كل معبود غيره، لا شريك للخالق ولا نظير ولا مثيل، ولا ولد ولا والد ولا جد ولا والدة، بل هو وحده المنزه عن كل ما في الوجود.

يعلمنا القرآن أن التوحيد هو دين كافة الأنبياء وصراط كافة الرسل، فما من رسول إلا وكانت أولى كلماته ومفتتح رسالته إلى قومه «اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا».

ويقول الله لخاتم مرسليه ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ (الأنبياء : ٢٥).

ويقول سبحانه كذلك لرسوله الأمين ﴿ وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾ (الزخرف: ٤٥).

فالتوحيد هو لباب الدين وقاعدته، وهو المضمون الحي لكل كتاب وكل دعوة، وهو الهتاف الدائم لكل نبي وكل رسول، منذ أول داع إلى الله حتى خاتم الأنبياء والمرسلين.

يخبرنا القرآن أن التوحيد هو دعوة نوح ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ (الأعراف: ٥٩).

والتوحيد هو رسالة إبراهيم عليه السلام الذي نادى قومه قائلاً ﴿اعبدوا الله ما لكم من إله غيره﴾.

والتوحيد هو نداء هود وصالح وشعيب عليهم الصلاة والسلام ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ (الأعراف: ٦٥).

﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ (هود: ٦١).

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ (هود ٨٤).

والتوحيد هو دين يعقوب وأبنائه، وقد سأل يعقوب أبناءه عمن يعبدون بعد موتقه فيجيبونه قائلين ﴿قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (البقرة : ١٣٣).

والتوحيد هو عقيدة يوسف الصديق عليه السلام، يخاطب يوسف دعاة الشرك والتعدد في تهكم وتقريع قائلاً ﴿أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (٣٩) مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (يوسف: ٣٩-٤٠).

والتوحيد هو هتاف موسى ﴿وإذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم﴾.

والتوحيد هو رسالة المسيح عيسى، يقول عليه السلام لقومه ﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ (آل عمران ٥١).

والتوحيد هو صلب رسالة محمد وعماد دعوته، يقول تعالى : ﴿إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ (الأنعام ١٦٢ - ١٦٣).

والتوحيد هو دين الفطرة السليمة، وعقيدة العقل الراجح فلقد فطر الإنسان على الإيمان بإله واحد تتوحد عليه منازع النفس ومشاربها، واهتدى العقل بسليقته إلى توحيد الخالق وعدم التفكير في معبود غيره.

يحدثنا القرآن عن تجربة أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام مع حقيقة التوحيد، وكيف هدته إلى كافة مظاهر الطبيعة في قوة عليا تسير الوجود وتتحكم في المخلوقات، وفي هذه التجربة إرشاد لكل ذي عقل، وتدبر لكل ذي وعي، يحدثنا القرآن كيف ذهب إبراهيم يبحث عن الله حين أحس أن هذا الوجود لا يمكن أن يخلو من مدبر حكيم مقتدر يسير نظامه ويحكم خلقه، ينظر إبراهيم إلى الأرض فيرى أصنامًا مشيدة، ويتوجه إلى السماء فيرى كواكب معبودة، ثم يرى قومه موزعين بين الأرباب الأرضية والكواكب السماوية، بعضهم راكع أمام صنم يدعوه، وبعضهم جاث تجاه نجم يناجيه، أما آلهة الأرض فقد رفضها الخليل في بداهة، ثم مضى يقلب وجهه في السماء باحثًا عن الإله الحق، يقول القرآن عن إبراهيم ﷺ: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ (٧٦) فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ (٧٧) فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ (٧٨) إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (الأنعام : ٧٧ ٧٩).

هكذا يلتقي إبراهيم بالحقيقة ويطالعها، حقيقة التوحيد المطلق، إن إلهه وإله الناس، وربه ورب الكل، واحد لا شريك له، إنه وحده فاطر السموات

والأرض، وخالق الشمس والقمر، ومبدع الكواكب والنجوم، لا يأفل ولا يغيب، ولكنه ملء السمع والبصر، وفيض الزمان والمكان له وحده الدوام والخلود.

هذا المؤمن الكبير، وهذا المهتدي العظيم، أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام أخرج الله من صلبه أنبياء بررة ورسلاً مكرمين، حملوا راية التوحيد وتناقلوا مشعل الهداية، فخرج إسماعيل وإسحق ويعقوب، وخرج يوسف وإدريس وأشعياء، وخرج داود وسليمان، وخرج يحيى وعيسى ومحمد، وخرج غيرهم كثيرون، ملأوا الأرض هدى ونشروا في الربوع نورًا، هدى الإيمان ونور الوحدانية.

والتوحيد في القرآن هو التوحيد الكامل، التوحيد في العبادة فلا معبود إلا الله، يقول سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٢١) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾(البقرة : ٢١ - ٢٢).

والتوحيد في الخلق والتكوين، فخالق السموات والأرض وما بينهما وما تحتهما هو الله الواحد، يقول القرآن مخاطبًا عقول المتشككين ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ (٦٠) أَمَّن جَعَلَ الأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ (٦١) أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ (٦٢) أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٦٣) أَمَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٦٤) قُل لاَّ يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللَّهُ وَمَا

يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ (النمل ٦٠ - ٦٥).

والتوحيد في الذات والصفات، فذات الله ليست مركبة أو مكونة من أجزاء أو عناصر أو أقانيم، كما أنه سبحانه منزه عن مشابهة الحوادث والمخلوقات، تقول آيات الذكر الحكيم ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ① اللَّهُ الصَّمَدُ ② لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ③ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ④﴾ (الإخلاص).

والله جل في علاه لا يشاركه في ملكه آخر، فليس مع الله إله آخر وليس فوق الله أو دونه إله، وليس قبل الله أو بعده أحد، وليس مظهر الله مخالفًا لمخبره كما يقرر أصحاب الثالوث من أنه رغم ظهوره سبحانه أنه واحد إلا أنه في حقيقته وجوهره مكون من ثلاثة أجزاء، كل هذه الأقوال يدحضها الإسلام مبينًا أن الله تبارك وتعالى ﴿هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم﴾ (الحديد).

والله عز وجل يملأ كل مكان ولا يحده مكان، فلا يدركه بصر ولا تحتويه قدرة بشر، فهو سبحانه لم يره أحد ولم يدرك كنهه فرد، يقول القرآن ﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ⑩② لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (الأنعام ١٠٢ - ١٠٣).

ولله الواحد صفات لا تعد وقدرات لا تحد وأسماء لا تحصى، فهو سبحانه الرحمن. الرحيم. مالك يوم الدين. الملك . القدوس . السلام . المؤمن . المهيمن. العزيز . الجبار. المتكبر. الخالق. البارئ. المصور. المذل. الحكيم. الغفور. الودود. الرؤوف. الحي. القيوم. الأبدي. الأزلي. العالم. القادر. المريد. له الخلق والأمر. بيده ملكوت كل شيء. يبسط الرزق. يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور. يسبح له ما في السموات وما في الأرض.. إلخ.

ومع اعتقادنا جميعًا في صفات الله وقدرته وعظمته، فإنه لا يمكن لأحد أن يتصور أن تلك الصفات تشير إلى تعدد أو تشبيه أو تثليث، وإنما تلك الصفات والأسماء غير المعدودة والتي أحصى منها القرآن تسعًا وتسعين اسمًافقط إنما هي لرب واحد لا مثيل له ولا شريك، وهي صفات تدل على قدرة الله الواحد وتفرده بالعظمة والقوة والجلال، وأنه ليس كمثله شيء في الأرض وما تحتها، أو في السماء وما فوقها، ولا يشبهه إنسان أو ملاك ولا يماثله نبي أو كوكب، ولا يدانيه جامد أو ذو حياة، بل كل عباده وصنع يديه، يقول الكتاب المبين ﴿إن الذين تدعون عباد أمثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين﴾ (الأعراف).

نعم إن كل من تدعونهم من دون الله، وكل من تشركونهم في العبادة مع الله، وكل من تمثلونهم وتشبهونم بالله، هم أمثالكم من عباد الله ومخلوقاته، لا يملكون لكم نفعًا ولاضرا، ولا يملكون لأنفسهم خيرًا وشرا، بل هم وانتم وكلنا جميعا في قبضة الواحد القهار، وطوع إرادته ورهن مشيئته.

والقرآن في دعوته إلى التوحيد لم يلج إلا إلى العقل، فهو يضع القضية أمام العقل الفطري للإنسان، يضعها في بساطة ووضوح، ودون أي تعقيد أو غموض، ثم يدعوه إلى التفكير في هذه القضية في هدوء وتبصر، ودون اندفاع أو عجلة، وبلا ميل أو هوى، وذلك حتى يمكنه الوصول إلى الحقيقة، الحقيقة التي تشهد بها آيات الخلق وظواهر الكون، والتي يبينها القرآن للناس في منطق واضح، وأسلوب رائع، وشرح مبدع ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ (المؤمنون : ٩).

هنا يبين القرآن في تصوير عملي وفي إقناع عقلي استحالة وجود أكثر من إله واحد في الكون، ذلك أن هذا التعدد بين الآلهة سيقود كما رأينا سلفًا إلى

التناحر والتنازع بين الآلهة، وإلى انحياز كل إله لخلقه من البشر والموجودات، وذلك سيؤدي أيضًا إلى انقسام الناس فيما بينها، كل إنسان يشايع إلهه ما دام كل إله يناصر خلقه، وفي خضم هذا التنازع والتناحر بين الآلهة والبشر يعلو بعض الآلهة على بعض، ويدنو بعض الآلهة عن بعض، وقد يفنى في تلك الملحمة من الآلهة بعض.

وفي خضم هذا التنازع والتناحر تتحول السموات العلا ويتحول عرش الله المقدس وتتحول الأبهة والملكوت، إلى ميدان للصراع وإلى حلبة للتناطح وإلى مكان للتنافس، صراع وتناطح وتنافس يذهب بجلال الألوهية، وينال من قدسية العرش، ويقضي على أبهة الملكوت، يقول القرآن الكريم: ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّابْتَغَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ (الإسراء: ٤٢).

ثم يعلن القرآن أن وجود أكثر من إله واحد في الكون أو أكثر من قوة واحدة في الوجود نذير بالقضاء على الكون، وفناء الوجود، يقول القرآن عن السماء والأرض: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ (الأنبياء: ٢٢).

نعم إن تعدد القوى التي تمسك الكون وتتحكم في الوجود ثم نشوب الخلاف والتنازع فيما بينها الذي لا مناص من وجوده بين كل اثنين، هذا التعدد والتنازع نذير بالضياع والدمار والفناء والانهيار لكل ما في الكون وما على الوجود، إننا نرى اليوم كوكبنا الأرضي مسرحًا للتقاتل والتناحر والاضطرابات والقلاقل، الحروب والمشاحنات، التي تنذر بالقضاء على المدنية والحضارة، بل تنذر بالفناء الشامل لكل الأرض وما عليها، كل ذلك بسبب التعدد والتنافس بين القوى التي تسيطر على الأرض وتتحكم في موازينها، فإذا كانت هذه قوى الأرض تعددت وتنازعت، فما بالنا بقوى السماء إذا تعددت وتنازعت، وإذا كانت هذه قوى البشر تغايرت وتنافرت، فما بالنا بقوى الآلهة

إذا تغـايرت وتنافـرت، لا شك أن الكون لا يمكنه تحمل أكثـر من قـوة واحـدة تسيره وتتحكم في توجيهه وتدبيره، وإلا فسد الكون وطواه الدمار.

بهذا الأسلوب المقنع، وبهذا المنطق المبدع يتحدث القرآن عن التوحيد، ويبين للناس حـقيقتـه في بسـاطة ويسـر وفي تحليل وعـمق، ثم يخـتم القـرآن بيـانه بالدعـوة إلى استعمال العقل والتفكير في كافة الآيات والظواهر الكونية التي أبدعها سبحانه ليصل الإنسان بنفسه، وبمحض عقله وتفكيره إلى حقيقة التوحيد « إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون . . . لقوم يتفكرون .. لقوم يعلمون .. لقوم يذكرون .. ألخ».

لا فرض ولا إجبار، ولا انقياد ولا تسليم، ولا إرهاب ولاتخويف، وإنما تفكير ودراسة، وتعلم وتذكر، في هدوء وتعقل للوصول إلى الحقيقة.

والقرآن ينكر كل ما يمكن أن يلقي ظلا على فكرة التوحيد أو صـورته، فالله في القرآن مترفع عن وثنية التعدد الذي التصق بالأديان السابقة، إنما الله إله واحد لا يتعدد ولا يتكرر، ولا يتغير ولا يتركب، وكل من يحاول التشكيك في هذه الحقيقة المطلقة، وكل من يقول بوجود إلهين أو ثلاثة، أو بوجود عناصر أو أجزاء في الذات الإلهية، كل من يقول بذلك فقد كفر، يقول عز وجل ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (المائدة ٧٣).

والله سبحانه يغفر لعباده جميع الذنوب وكافة المعاصي، إلا الشرك به وتأليه مخلوقاته، فالشرك بالله كفر، والكفر هو أبعد الضلال، فلا نجاة لكافر ولا أمل لكافر، يقول الواحد القهار ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيداً ﴾ (النساء: ١١٦).

هكذا بدت العقيدة الإلهية متجردة من عقابيل الشرك، وشوائب التعدد،

وشبهات التجسيم، وترهات النقص.

هكذا تحرر الإنسان من كل سلطان لبشر، وأعتق من كل عبودية لمخلوق، لا عبادة لرسول ولا تقديس لملك، ولا إخبات لزعيم ولا خشية لكاهن، بل كل عباد الله الواحد، يقول سبحانه عن المشركين ﴿ وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا (٨١) كَلاَّ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴾ (مريم ٨١ - ٨٢).

هكذا تم للإنسان استقلال الفكر، واستقلال الرأي، واستقلال الإرادة، واستقلال العمل، لا رقيب ولا حسيب ولا ضابط ولا ضاغط، سوى الله الواحد.

هكذا تمت المساواة بين الناس كبيرهم وصغيرهم، وأميرهم وفقيرهم، كل سواسية كأسنان المشط، لافضل لأحد على آخر، ولا تقدم لمخلوق على سواه، إلا بالتقوى والعمل الصالح.

هكذا ألغيت الوساطة، وانتهت الشفاعة، وبار سوق الدجل، وانهار صرح الاحتيال.

هكذا سما العقل الإنساني، وارتفع عن نطاق المحسوسات والتشبيهات، ونأى عن دونية الخرافات والترهات.

هكذا تجمعت القلوب حول حب واحد، وانضمت الأفئدة في كيان واحد، واتجهت النفوس إلى غاية واحدة. تجمعت القلوب والأفئدة والنفوس حول إله واحد. وتجمعت فيما بينها حول الحب والأخوة والتعاطف، لا تفرق بين الناس حول الآلهة ولا تعصب بين الناس حول الأرباب، ولا صراع ولا كره ولا نفور، بل تراحم وتعاون وتآخ فيما بينهم، وحب وعبادة وتقديس لله الواحد.

هكذا امتلأت النفس بالفضائل والمثل، وتعاون الناس على البر والتقوى،

وتسابقوا إلى الصلاح والخير، لينالوا رضوان الله الواحد، يقول القرآن الكريم ﴿ وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ إله واحـد لا إله إلا هـو الرحـمن الرحيم﴾ (البقرة : ١٦٣).

هذا هو التوحيد الخالص دين الإسلام وشريعته، دين الحب والإخاء والرحمة، دين الأخلاق والفضائل والمثل. توحيد أعلنه الله لخلقه، وشهد به الملائكة والرسل ونادى به العلماء والعقلاء، واعتنقه كل ذي بصيرة ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (آل عمران : ١٨).

* * *

الفصل التاسع

الدين الواحد

يقول القرآن الكريم ﴿إن الدين عند الإسلام﴾ (آل عمران: ١٩) ثم يقول في آية آخرى بعدها ﴿ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه .. و في الآخرة من الخاسرين﴾ (آل عمران ٨٤).

ومعنى هاتين الآيتين أن الدين الذي يقبل الناس على أساسه في ملكوت الله ويصبحون به مؤمنين بالله هو الإسلام، وأن كل من لا يتخذ الإسلام دينًا فهو كافر بالله مطرود من رحمته وهداه ذلك أن دين الله والدين كله عند الله هو الإسلام.

ولكن ما هو الإسلام؟ هل هو الدين الذي بعث به محمد عليه الصلاة والسلام؟ أم هو دين آخر؟

وإذا كان الإسلام هو الدين الذي أرسل به محمد، والذي سار عليه أتباع محمد ﷺ فما هو الدين الذي نزل على الرسل قبل محمد ﷺ ؟ وما حكم اتباع هؤلاء الرسل..؟ هل يعتبر هؤلاء الرسل مؤمنين بالله..؟ أم خارجين عن رحمة الله..؟ وهل يعد أولئك مسلمين ..؟ أم كفرة مارقين..؟

إذا سرحنا الطرف في الماضي السحيق منذ بداية الخليقة ونشأة آدم وحواء، ثم سرنا في ركب البشرية حيث كثر الناس وازدادت معاملاتهم وكثرت

احتكاكاتهم، ثم كثر تشاحنهم فبعث الله فيهم نوحًا عليه السلام يدعوهم إلى الهداية والرشاد، وإلى اتباع البر وترك المعاصي، وإلى عبادة الله الواحد، وتبع البعض نوحًا وكفر برسالته آخرون، فأنجى الله نوحًا والذين آمنوا معه وأغرق الكافرين، ثم ذهب نوح وعاد الناس إلى الشر والشرك، وبعث الله لوطًا أيضًا يدعو قومه إلى ما يدعو إليه إبراهيم، وآمن البعض برسالة إبراهيم وكفر الباقون، ثم أتى يوسف وموسى وداود وسليمان وزكريا ويحيى وعيسى ومحمد وغيرهم كثيرون، وآمن البعض بهم وكفر الآخرون.

لقد أتى هؤلاء الأنبياء جميعًا من لدن الله، ودعوا جميعًا إلى دين الله، أتوا جميعًا من مصدر واحد، ونهلوا جميعًا من نبع واحد، وهتفوا جميعًا برسالة واحدة، هي توحيد الله وصنع الخير، وآمن بهؤلاء الأنبياء كل في زمانه بشر كثيرون صدقوا دعوة رسولهم وآمنوا أنه مبعوث من لدن الله، فاتخذوا التوحيد دينهم والخير سبيلهم وانقادوا لأوامر الله وتجنبوا نواهيه، فما حكم هؤلاء البشر ... خاصة أولئك الذين لم يدركهم زمان محمد ﷺ فلم يتمكنوا من الإيمان به وتصديق رسالته... هل يعتبرون مؤمنين مسلمين..؟ أم مشركين هالكين؟

لا شك أن أتباع هؤلاء الأنبياء جميعًا قد آمنوا بالله، وصدقوا رسله وكتبه ورسالاته، وأخلصوا له العبادة والتوحيد والتقديس، واتبعوا أوامره واجتنبوا نواهيه، فلا يمكن إلا أن يكون هؤلاء جميعًا مؤمنين بالله، مشمولين برحمته ورعايته، منعمين في جناته وخلده، وبالتالي فإن أتباع هؤلاء الأنبياء جميعًا مسلمون.

ولكن كيف يكون هؤلاء مسلمين ولم يدركهم زمان محمد ﷺ، فلم يؤمنوا برسالة محمد ﷺ التي تعارف الناس على تسميتها بالإسلام..؟ وكيف يكون

هؤلاء مسلمين ولم ينتسبوا إلى دين محمد الذي جرى العرف على اختصاصه بكلمة الإسلام..؟ أليس هذا أمرًا مثيرًا للدهشة..؟

الحقيقة أنه ليس في ذلك ما يدعو إلى الدهشة أو الاستغراب، بل إن الدهشة والاستغراب هي في خطأ التسمية وفي جريان العرف عليها، ذلك أن الإسلام في فقه الدين واللغة ليس اسمًا للدين الذي نزل على محمد، وليس اسمًا لدين خاص، وإنما هو اسم الدين المشترك الذي هتف به كل الأنبياء وانتسب إليه كل أتباع الأنبياء، فالإسلام لله معناه الانقياد والتسليم لله، هو أن يسلم الإنسان وجهه وفكره لله، هو أن يؤمن الإنسان بمولاه ويطيع أوامره ويتجنب نواهيه، هو إسلام العقل والقلب والروح والوجدان والحس والمشاعر والأحوال والأعمال كلها لله الواحد.

بهذا فإن كلمة الإسلام في اللغة والدين تتسع لكل المؤمنين بالله في كل زمان ومكان.

وتوضح هذه الحقيقة آيات الكتاب المبين فتقول ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ﴾ (النساء: ٥).

ويقول تبارك وتعالى ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (البقرة : ١١٢).

ويناجي إبراهيم وإسماعيل ربهما قائلين: ﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ ﴾ (البقرة ١٢٨).

ومعنى ذلك أن كل من آمن بالله الواحد وأسلم وجهه له واتبع أوامره وتجنب نواهيه فهو المسلم، سواء أكان من أتباع محمد ﷺ أم كان من أتباع الرسل السابقين. فسواء تبع المؤمن نوحًا أو إبراهيم أو داود أو موسى أو عيسى أو

محمدًا، فما دام قد انقاد لأوامر الله ونواهيه، وما دام قد أسلم وجهه لله فهو مسلم.

ولكننا نسمع اليوم أسماء مختلفة يتسمى بها أتباع الرسل والديانات، نسمع أتباع موسى يسمون باليهود أو الموسويين نسبة إلى نبيهم موسى أو نسبة إلى أرض اليهودية، ونسمع أتباع المسيح عيسى يسمون بالمسيحيين أو بالنصارى نسبة إلى السيد المسيح أو إلى الناصرة بلده، ونسمع أتباع محمد ﷺ يسمون بالمسلمين ويسمى دينهم بالإسلام، ويمكن أن نطلق عليهم من قبيل التجاوز وانسياقًا وراء الخطأ في التسميات السابقة اسم المحمديين نسبة إلى محمد عليه الصلاة والسلام.

ولكن الواقع أن كافة هذه التسميات التي جرى عليها العرف غير صحيحة، إن أتباع موسى الذين آمنوا بالتوراة الحقيقية ليسوا موسويين ولكنهم مسلمون، وأتباع المسيح عيسى الذين آمنوا بالإنجيل الحقيقي ليسوا مسيحيين ولكنهم مسلمون، وأتباع محمد الذين آمنوا بالقرآن الكريم ليسوا محمديين ولكنهم مسلمون، وأتباع نوح وإبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب وداود وسليمان وإدريس وغيرهم من الأنبياء ليسوا إلا مسلمين، فهؤلاء البشر جميعًا قد آمنوا بدين الله واتبعوا أوامر الله واجتنبوا نواهيه، وأسلموا وجوههم وقلوبهم لله فصاروا مسلمين.

ومن الخطأ أن ينسى الناس صاحب الدين منبع الرسالات ومصدر الوحي وصانع الرسل الله سبحانه وتعالى وينسبون أنفسهم إلى رجل كل مهمته أنه حمل الرسالة وأبلغها لهم، لم يكن عمل الرسول سوى حمل رسالة الله وخطابه إلى البشر ثم شرح وتوضيح مضمونها لهم، تمامًا كما يرسل الإنسان منا تابعه بخطاب إلى شخص آخر ليقوم بتبليغه له، ليس من هؤلاء الرسل هو الكاتب

للرسالة أو المنشيء للخطاب، وليس من حق أي من هؤلاء الرسل أن يضيف حرفًا أو يحذف لفظًا أو يعدل في وضع كلمة من مضمون الرسالة أو الخطاب الذي يقوم بتبليغه، ولكن عملهم جميعًا يقتصر على توصيل الخطابات وإبلاغ الرسالات، الرسالات التي كتبها واحد وخلقها واحد وأنشأها واحد، نفس الخط ونفس الأحكام، دين واحد من لدن إله واحد إلى عالم واحد.

ليس الدين دين موسى ولا دين عيسى ولا دين محمد ولكنه دين الله، لسنا موسويين، ولا مسيحيين ولا محمديين ولكننا جميعًا مسلمون، مسلمون لله رب العالمين نؤمن بوحدانيته ونطيع أوامره ونتجنب نواهيه ونسلم له قلوبنا ووجوهنا هذا هو قانون إيماننا.

عند موت محمد ﷺ لم يصدق الناس، وهمَّ كثيرون بالارتداد عن الإسلام، ولكن أبا بكر الصديق حبيب محمد ﷺ وخليفته وقف بالناس في صلابة وشجاعة يعلن لهم موت الرسول حامل الرسالة، ولكنه يعلن في الوقت نفسه بقاء الرسالة وخلود باعث الرسالة الله تبارك وتعالى. قال أبو بكر: «أيها الناس من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت، ثم تلا أبو بكر قول الله عز وجل ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ (آل عمران ١٤٤).

وبعد رفع المسيح دعا الكثيرون إلى تأليهه، بل أشركوه مع الله في العبادة، ثم نسوا الله وعبدوا المسيح الإنسان مخلوق الله، ولكن السيد المسيح عيسى عليه السلام يبرأ من هؤلاء المشركين ويعلن لربه وربهم أنه ما دعاهم إلا إلى الإسلام والتوحيد، وأنه ما أبلغهم إلا ما أمره به سبحانه وتعالى، تقول آيات الذكر الحكيم: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن

دون اللّه قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ (١١٦) مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (المائدة ١١٦ - ١١٧).

نعم لا يمكن لعيسى أو لمحمد أو لأي من الأنبياء أو الملائكة أن يدعي الألوهية أو يطلب من الناس عبادته أو ينسب لنفسه منة أو فضلاً، ولكنهم جميعًا أنبياء ورسلاً وملائكة وبشرًا عباد الله المؤمنون به المسلمون له، يقول عز وجل:﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ (٧٩) وَلا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: ٧٩ - ٨٠).

نعم الرسل فانون والله وحده هو الباقي، البشر زائلون والحقيقة باقية، لا عبادة للرسل ولا إخبات للملائكة، ذهب موسى وذهب عيسى وذهب محمد، ويقي باعث موسى وعيسى ومحمد، ادوا المهمة واوصلوا الأمانة وابلغوا الرسالة، ثم عادوا إلى باعثهم ومرسلهم وخالقهم ذهب الرسل ويقي الله، ويقي دينه ويقي إسلامه.

من أجل هذا فقد دعا الرسل جميعًا إلى دين الله، وهتف الأنبياء جميعًا بالإسلام لله، هذا نوح يردد ﴿ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (يونس: ٧٢).

وإبراهيم وأبناؤه إسماعيل ويعقوب وذريتهم كل مسلمون، يقول القرآن الكريم عن إبراهيم وآله ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (١٣١) وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ (١٣٢) أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ

آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلهًا واحدًا ونحنُ لهُ مُسلمُونَ﴾ (البقرة ١٣٢ - ١٣٣).

وموسى عليه السلام ينادي قومه ﴿يَا قَوْمِ إن كُنتُمْ آمنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُسْلِمِينَ﴾ (يونس : ٨٤).

والمسيح عيسى عليه السلام ومن اتبعوه أيضًا مسلمون يقول جل وعلا عن رسوله عيسى ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: ٥٢).

وحين سمع القرآن فريق من أهل الكتاب ﴿قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ﴾ (القصص: ٥٣).

ويجمع القرآن الكريم كافة الرسل والأنبياء تحت راية الإسلام مرددًا معهم قسم الإسلام ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (البقرة : ١٣٦).

هذا هو الإسلام، دين الله، ودين كل الأنبياء، وديننا جميعًا، إنه في كلمتين: التوحيد والصلاح، كل من يؤمن بالله الواحد ولا يشرك به شيئًا ويصنع الخير ويجتنب الشر فهو المسلم، أيًا كان الدين الذي يتسمى به، وأيًا كان الاسم الذي يطلق عليه، هذا هو الاسلام شريعة الله ودعوته التي هتف بها كل الأنبياء، والتي صورها القرآن على لسان إبراهيم في آيتين: ﴿اعبدوا الله ما لكم من إله غيره﴾ . ﴿وعملوا صالحًا﴾.

هذه الدعوة، التوحيد والصلاح هي دعوة الإسلام، نادى بها كل الأنبياء وتضمنتها كافة الرسالات وسار عليها كافة المؤمنين الذين ﴿قالوا ربنا الله ثم استقاموا﴾.

هؤلاء هم المؤمنون المسلمون الذين لا يشركون بالله أحدًا لا نبيًا ولا ولدًا بل كل عباده، وكل فيما بينهم أخوة، والذين يعملون الخير ويحاربون الإثم ويرتبطون بالخالق ارتباط الحب والإخبات والرجاء، ويستمسكون بالمثل والفضيلة والتقوى، يتعاونون في الدنيا ويعملون لثواب الآخرة.

هذه هي مباديء دين الله، وتلك هي أسس شريعة الله، ومضمون كافة رسالات الله، أيًا كان الاسم الذي يطلق عليه وأيًا كان الرسول الذي يبلغها، كلها مباديء واحدة شرعها الله لعباده فيها صلاحهم وخيرهم في الدنيا والآخرة.

في التوراة يتجلى الله لنبيه موسى على الجبل يبلغه الوصايا التي يجب أن يسير عليها قومه ليكونوا مؤمنين مسلمين، يقول سبحانه «أنا الرب .. إلهك.. لا يكن لك آلهة أخرى أمامي، لا تصنع لك تمثالاً منحوتًا ولا صورة، ماهما في السماء من فوق وما في الأرض من تحت وما في الماء مما تحت الأرض لا تسجد لهن ولا تعبدهن.. أكرم أباك وأمك لكي تطول أيامك على الأرض التي يعطيك الرب إلهك، لا تقتل، لا تزن، لا تسرق، لا تشهد على قريبك شهادة زور، لا تشته بيت قريبك» .. إلخ. (سفر الخروج ص ٢٠ / ٢ - ١٦).

وفي الإنجيل يأتي أحد الشباب إلى السيد المسيح عيسى عليه السلام يسأله أن يدله على طريق الفردوس وجنات النعيم، فيرد عليه عيسى قائلاً: «إن كنت تريد أن تدخل الحياة فاحفظ الوصايا لا تقتل، لا تزن، لا تسرق، لا تشهد الزور، أكرم أباك وأمك، أحب قريبك كنفسك» (إنجيل متى ص ١٩ / ١٨، إنجيل مرقس ص ١٠ / ١٩).

ثم يأتي محمد عليه الصلاة والسلام ليناشد الناس السير على نفس المباديء فيقول: **«بايعوني على الا تشركوا بالله شيئًا ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا ببهتان تفترونه».**

نفس المبادىء الحلوة ونفس التعاليم السامية يرددها كل رسول نقلاً عن ربه الواحد ويناشد كل نبي قومه أن يسيروا عليها ليكونوا مسلمين، فينالوا الخير ويسعدوا في الدنيا والآخرة، يقول عز وجل عن المسلمين أنهم ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ (الأعراف: ١٥٧).

لم يختلف عيسى عن موسى، ولم يختلف محمد عن عيسى، ولم يختلف إسحق عن إبراهيم، بل كل نادى بنفس الرسالة، التوحيد والعمل الصالح، توحيد الله والإخلاص له في العبادة، والتعاون بين الناس في الخير وكف الأذى والعدوان والاستشراف إلى المثل العليا، يقول الله لخاتم النبين ﴿مَا يُقَالُ لَكَ إِلاَّ مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ﴾ (فصلت : ٤٣).

لم يخرج عن هذه المبادىء رسول، ولم يناد بغير هذه المثل نبي، هذا هو عيسى عليه السلام يعلن لقومه في إنجيل متى «لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء ما جئت لأنقض بل لأكمل» (إنجيل متى ص ٥ / ١٧).

ويسرد القرآن سيرة الأنبياء المسلمين ثم يتحدث فيها عن المسيح عيسى فيقول: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ﴾ (المائدة : ٤٦).

هذا هو المسيح عيسى النبي المسلم، لم يأت إلى الناس بدعوة جديدة، ولم يدع الناس إلى تأليهه أو عبادته. ولم يخرج عن دعوة إخوته الأنبياء الذين جاءوا بها جميعًا من لدن إلههم الواحد، وإنما دعي عيسى إلى ما دعا إليه من سبقه من الرسل، دعا إلى دين الله الواحد دين الإسلام.

يتحدث السيد المسيح في إنجيل يوحنا مبينًا للناس أنه لم يأت برسالة من

عنده ولم يخترع دينًا من لدنه. وإنما الرسالة رسالة الله والشريعة شريعة الله والحق كل من الله، يقول المسيح عيسى لقومه «وأنا الإنسان قد كلمكم بالحق الذي سمعه من الله» (يوحنا ص ٨ / ٤٠)، ويقول المسيح أيضًا «ما أتيت لأصنع مشيئتي بل مشيئة من أرسلني» (يوحنا ص ٦ / ٣٨).

نعم فالمسيح عيسى عليه السلام، رسول أتى من قبل الله، منفذًا لإرادة الله، ومبشرًا بدين الله، دين التوحيد دين الإسلام، الدين الذي دعا إليه من قبله موسى وإبراهيم وإسماعيل ونوح وغيرهم، والذي أتمه محمد عليه الصلاة والسلام يقول الرسول الكريم ﷺ : «**الأنبياء اخوة، امهاتهم شتى، ودينهم واحد**».

نعم إن دين الله في جميع الأزمان واحد لم يتغير فالمنبع واحد والمصدر واحد هو الله الواحد، يقول تبارك وتعالى ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾ (الشورى: ١٣).

من أجل هذا الدين الواحد الذي لا يتغير، وهذه المباديء الخالدة التي لا تتبدل، فإن كل من اعتنق هذا الدين وسار على تلك المباديء وأسلم وجهه وقلبه لله فيها، واتبع أوامر الله واجتنب نواهيه، أيًا كان الرسول الذي أبلغه الدعوة، وأيًا كان الزمن الذي وجد فيه أو المكان الذي حل به، أو الجنس الذي انتمى إليه، أو اللغة التي نطق بها، فهو المؤمن الحق الذي اتبع دين الله، وصار مسلمًا لله فرضي سبحانه عنه وأدخله نعيم جناته، يقول تبارك وتعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَىٰ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (المائدة : ٦٩).

نعم إن كل من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحًا فهو المؤمن المسلم سواء

تبع موسى أو تبع عيسى أو تبع محمدًا أو تبع إبراهيم، وسواء سمي موسويًا أو مسيحيًا أو محمديًا أو أي اسم آخر، ذلك أن موسى وعيسى ومحمدًا وإبراهيم وغيرهم من الرسل والأنبياء نادوا بنفس مباديء الإسلام فكانوا مسلمين وصار أتباعهم مسلمين.

فالإسلام إذن ليس دينًا مقصورًا على المؤمنين برسالة محمد وليس دينًا جديدًا دعى إليه محمد، وإنما هو الدين كله عند الله منذ كان دين على الأرض، إنه دين الرسل والأنبياء والمؤمنين جميعًا وجماع رسالات الله إلى أهل الأرض، جماع رسالات الإيمان والإخاء والتراحم، رسالات الخير والحب والسلام.

وقد يتصور البعض أن في هذا القول تحيز للدين الذي جاء به محمد أو محاباة للرسالة التي نزلت على محمد، ولكن الحقيقة أن الإسلام - دين الله - يحتم على المؤمنين اعتناق كل الرسالات التي بعثها الله، وتكريم جميع الأنبياء الذين أرسلهم الله، لا فرق بين رسول وآخر، ولا فضل لرسالة على أخرى، محمد شقيق عيسى ويحيى مساو لموسى ونوح مماثل لإبراهيم.

بهذا فإن أتباع محمد ﷺ لا يكفيهم ليكونوا مسلمين أن يؤمنوا بالقرآن رسالة من عند الله وبمحمد رسولاً من لدنه تعالى، ولكن يجب عليهم ليكونوا مسلمين أن يؤمنوا بكافة الرسالات التي نزلت قبل القرآن وبجميع الرسل الذين بعثوا قبل محمد ﷺ ، عليهم أن يؤمنوا بكافة رسالات الله وأن يصدقوا جميع رسل الله، دون تفرقة بين رسالة وأخرى ودون تمييز بين رسول وآخر، من أجل هذا فإن من يكفر بموسى فهو ليس مسلمًا، ومن ينتقص من عيسى فليس مسلمًا، ومن يجحد التوراة الحقيقية فليس مسلمًا، ومن ينل من الإنجيل الحقيقي فليس مسلمًا، ومن أجل هذا فقد آمن عليه الصلاة والسلام بالقرآن والإنجيل والتوراة وبكافة الكتب والرسل السابقة،ودعا المؤمنين المسلمين إلى

الإيمان بكافة الرسالات والرسل دون تفرقة أو تمييز، يقول الكتاب المبين: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾ (البقرة: ٢٨٥).

ومن أجل هذا أيضًا فإن كافة أتباع الرسل والرسالات السابقة الذين أدركوا زمان محمد ﷺ والذين سمعوا برسالة محمد ﷺ والذين طال بهم العمر حتى استناروا بضياء محمد ﷺ، كل هؤلاء جميعًا سواء تسموا موسويين أو مسيحيين أو محمديين أو تسموا بأي اسم آخر، عليهم ليصيروا مؤمنين مسلمين أن يؤمنوا بكافة الرسل والرسالات التي أعقبت رسولهم وشريعتهم، تمامًا كما آمنوا بالرسالة التي نزلت عليهم وبالرسول الذي أتى إليهم.

فاليهود مثلا الذين يتبعون موسى ويؤمنون بالتوراة ويصدوقون الرسل والرسالات التي نزلت قبل موسى والتوراة، هؤلاء اليهود كانوا مسلمين حتى بعث الله عيسى عليه السلام، كرسالات نوح وإبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب وغيرهم، ولكن بنزول المسيح عيسى ودعوته الناس الى الإيمان بالإنجيل أصبح من المحتم على هؤلاء القوم أتباع موسى ومن سبقه من الرسل أن يؤمنوا بالسيد المسيح ورسالته، فإن لمن يؤمنوا به فإنهم لم يعودوا مؤمنين مسلمين بل كفرة مارقين، ذلك أنهم جحدوا نبوة رسول بعثه الله، وأنكروا فضل رسالة أنزلها الله، فصاروا كافرين بالله ورسله ورسالاته.

كذلك فإن المسيحيين الذين اتبعوا عيسى وآمنوا بالإنجيل، وصدقوا الرسل والرسالات السابقة على المسيح والإنجيل، هؤلاء أيضًا مسلمون، ولكن ببعث محمد ﷺ ودعوته الناس إلى الإيمان بالقرآن، أصبح على أتباع عيسى أن يؤمنوا بمحمد ورسالته، فإن لم يؤمنوا بنبوة محمد ورسالته فإنهم لم يعودوا مؤمنين مسلمين، ذلك أنهم أنكروا نبوة رسول من عند الله، ورفضوا الإيمان

برسالة أنزلها الله، مثلهم في ذلك مثل من ينكر موسى وتوراته من أتباع عيسى، أو من ينكر إبراهيم وصحفه من أتباع موسى، أو من ينكر أيًا من رسل الله ورسالاته.

هؤلاء المنكرون جميعًا ليسوا مؤمنين مسلمين، ولكنهم كفرة آثمون، وتبين آيات الذكر الحكيم هذه الحقيقة في جلاء ووضوح فتقول ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً (١٥٠) أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا (١٥١) وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ (النساء: ١٥٠ - ١٥٢).

إن المسلم الحق هو الذي يؤمن بجميع رسالات الله وبكافة رسل الله، أما من ينكر كتابًا أنزله الله، أو ينتقص نبيًا بعثه الله، فهذا هو الكافر حقًا.

نعم كافر من يؤمن بموسى وينكر إبراهيم، وكافر من يؤمن بعيسى وينكر محمد، وكافر من يؤمن بإسماعيل وينكر إسحق، هؤلاء جميعًا ليسوا مسلمين، ولكنهم كفرة شاردون، أيا كان الرسول الذي اتبعوه، وأيًا كان الاسم الذي اتخذوه، ودينهم ورسولهم بريئان من كل ما فعلوه، يقول القرآن الكريم متعجبًا من حال أولئك المنكرين ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ (آل عمران: ٨٣).

إسلام واحد لله، توحيد وإصلاح، دين واحد أنزله الله الواحد إلى أبنائه البشر، على فترات، ومراحل ليتلاءم مع تطور البشرية ومراحلها، متدرجًا معها منذ طفولتها ثم يفاعها ونضجها، متوافقًا مع نمو عقول أفرادها وتفتح أذهان أبنائها.

دين واحد ألقى بذرته آدم، وجاء نوح فأنماه ساقًا وتبعه إبراهيم فرواه فروعًا،

ثم أتى موسى فتعهده ورقًا وتبعه عيسى فرعاه زهرًا، ثم جاء محمد فانضجه ثمرًا شهيًا.

دين واحد كان نبتة صغيرة في عهد آدم وصار بمحمد ﷺ شجرة ضخمة أصلها ثابت وفرعها في السماء.

دين واحد بدأ بناء صغيرًا في مرحلة الطفولة البشرية ثم تراكمت لبناته في صرح الحق والخير فعلا البناء، ثم جاءت رسالة محمد فكانت اللبنة الأخيرة التي أكملت البناء ثم صارت حجر الزاوية الذي يمسك أركانه.

هذا هو الإسلام دين واحد لم يتغير، ودعوة واحدة لم تتبدل، ولكننا نحن البشر ذوي الأهواء والأغراض، وذوي الميول والنزعات، ومرضى النفوذ والزعامات، غيرنا وبدلنا وحذفنا وأضفنا ، وحورنا وحرفنا.

قسمنا الدين الواحد إلى أديان متعددة، ثم قسمنا كل دين منها إلى مذاهب مختلفة، وطوائف متعارضة، وملل متنافرة، ونحل متضاربة.

نسينا الله وعبدنا عباده، نسينا المرسل وعبدنا المرسلين، نسينا الباعث وعبدنا المبعوثين، ثم خلقنا أديانًا جديدة من عندياتنا، وصنعنا لها أربابًا ابتدعتها أهواؤنا، ثم أعلناها حربًا ضروسًا فيما بيننا ، نحن أتباع الأديان والمذاهب والطوائف والملل والنحل المختلفة، حربًا ملؤها الحقد والكراهية والضغينة والنفور، بل حربًا يحل فيها سفك الدماء ظلامًا وجهارًا لمن استطاع إلى ذلك سبيلاً، كل منا يكفر أخاه، وكل منا يقصر الجنة على نفسه وأتباع ملته، ويعد الجحيم لمعارضيه ومخالفيه.

دين واحد أنزله الله لجمع شمل الشعوب وتوحيد كلمة الأمم وإشاعة الأخوة والتعاطف والحب بين الناس، ولكننا حولناه إلى أداة للفرقة والتنافر والكره.

إســلام واحـد ، انزله إله واحـد، إلى عـالم واحـد، يدعـوه إلى التـوحـيـد والصلاح، فأنى يستجيب ..؟

يقـول تبـارك وتعـالى: ﴿إن هذه أمـتكم أمـة واحـدة وأنـا ربكم فـاعـبـدون﴾ (الأنبياء).

وأخيرًا نختم بحثنا المتواضع بالدعاء إلى الله العلي القدير أن يهدينـا سواء السـبـيل، وأن يعـمق الإيمـان في نفـوسنا، وأن يجـعل الخـيـر سـبـيلنا، والحب طريقنا، إنه سبحانه نعم المولى ونعم المجيب.

﴿ رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ (١٩٣) رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴾

صدق الله العظيم

إصدارات مكتبة النافذة فى
مقارنة الأديان

* الله واحد أم ثالوث	د. المستشار / محمد مجدى مرجان
* المسيح إنسان أم إله	د. المستشار / محمد مجدى مرجان
* محمد ﷺ نبى الحب	د. المستشار / محمد مجدى مرجان
* بذل المجهود فى إفحام اليهود	السموأل بن يحيى المغربى
* النصرانية والإسلام	المستشار / محمد عزت الطهطاوى
* محمد ﷺ نبى الإسلام (فى التوراة والإنجيل والقرآن)	المستشار / محمد عزت الطهطاوى
* لماذا أسلم هؤلاء	المستشار / محمد عزت الطهطاوى
* الإنجيل والصليب	الآب / عبد الأحد داود الأشورى
* سر مريم	حسنى يوسف الأطير
* عقائد النصارى الموحدين	حسنى يوسف الأطير
* المواجهة بين القرآن والإسرائيليات	حسنى يوسف الأطير
* البدايات الأولى للإسرائيليات فى الإسلام	حسنى يوسف الأطير
* المذهب الدهرى عند العرب	حسنى يوسف الأطير
* على هامش الحوار بين القرآن واليهود	حسنى يوسف الأطير
* شبهات مسيحية معاصرة حول الإسلام (حائرون أم معاندون)	حسنى يوسف الأطير
* تقويم الاعتقاد بين القرآن والنصارى الموحدين	حسنى يوسف الأطير
* تحفة الأريب فى الرد على أهل الصليب	أنسلم تورميد (الشهير : بعبد الله الأندلسى)
* المناظرة الكبرى فى مقارنة الأديان	د محمود على حماية
* التثليث (بين الوثنية والمسيحية)	د محمود على حماية
* دراسات فى الكتاب المقدس (العهد القديم والعهد الجديد)	د محمود على حماية

* يأجوج ومأجوج بين التوراة والقرآن	د. أحمد حجازى السقا
* أهل الكهف (بين الإسلام والمسيحية)	د. أحمد حجازى السقا
* يوحنا المعمدان (بين النصرانية والإسلام) ...	د. أحمد حجازى السقا
* الأرواح وحياة القبور (بين المسلمين وأهل الكتاب)	د. أحمد حجازى السقا
* هيكل سليمان (عند المسلمين وأهل الكتاب)	د. أحمد حجازى السقا
* الصابئين (الأمة المقتصدة)	د. أحمد حجازى السقا
* معركة هرمجدون ونزول عيسى والمهدى المنتظر (فى التوراة والإنجيل)	د. أحمد حجازى السقا
* بروتوكولات حكماء صهيون وأصولها التوراتية والتلمودية	د. أحمد حجازى السقا
* تاريخ العرب القديم (من سيدنا إبراهيم عليه السلام إلى سيدنا محمد ﷺ)	د. أحمد حجازى السقا
* نقد التوراة (أسفار موسى الخمسة)	د. أحمد حجازى السقا
* الحج إلى الكعبة (فى التوراة والزبور والإنجيل والقرآن)..	د. أحمد حجازى السقا
* الكنز المرصود فى قواعد التلمود	د. روهلنج / شارل لوران ترجمة : يوسف حنا نصر الله
* الرد على أصناف النصارى	على بن ربن الطبرى
* المناظرة التاريخية (بين الشيخ رحمة الله الهندى والقس بيفندر)	
* إظهار الحق	الشيخ رحمة الله الهندى
* الفارق بين المخلوق والخالق	للأستاذ عبد الرحمن أفندى بلجة جى
* رسالة فى اللاهوت والسياسة	سبينوزا ـ ترجمة : حسن حنفى
* القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم ...	موريس بوكاى



الله

واحد أم ثالوث

مؤلف الكتاب

- المستشار الدكتور محمد مجدى مرجان.
- ولد في أسرة متدينة مسيحية وكان شماساً في الكنيسة ثم اعتنق الإسلام وكتب أربعة كتب في إظهار الحق.
  - الله واحد أم ثالوث.
  - المسيح إنسان أم إله.
  - محمد (ﷺ) نبى الحب.
  - لماذا أسلمت؟
- ويشغل المؤلف الآن منصب رئيس محكمة الجنايات والإستئناف العليا، ورئيس منظمة الكتاب الأفريقيين والآسيويين.

مكتبة النافذة